أعلام الشام

رقم مسلسل	أسماء الأعلام	التاريخ
١	محمد صنع الله الخالدى	١١٤٠-١٢٠٥هـ
٢	كمال الدين الغزى	١١٤٨-١٢١٣هـ
٣	محمد العطار	١١٧٧-١٢٤٣هـ
٤	موسى الخالدى	١١٨١-١٢٤٧هـ
٥	عبدالرحمن الكزبرى الثانى	١١٨٤-١٢٦٤هـ
٦	أحمد الحجار الحلبي	١١٩٠-١٢٧٠هـ
٧	مصطفى الخالدى	١٢٠٢-١٢٦٠هـ
٨	مصطفى المغربى التهامى	١٢٠٥-١٢٨٠هـ
٩	محمد التميمى المغربى	١٢٢٢-١٢٨٦هـ
١٠	أحمد الحلوانى	١٢٢٨-١٣٠٧هـ
١١	محمود الحمزاوى	١٢٣٦-١٣٠٥هـ
١٢	أحمد عبد الغنى عابدين	١٢٣٨-١٣٠٧هـ
١٣	محمد علاء الدين عابدين	١٢٤٤-١٣٠٦هـ
١٤	أحمد الفحماوى	١٢٤٦-١٣٠٩هـ
١٥	حسين عوده	١٢٥٢-١٣٣٢هـ
١٦	محمد المبارك الحسنى الجزائرى	١٢٦٣-١٣٣٠هـ
١٧	محمد بدر الدين	١٢٦٧-١٣٤٤هـ
١٨	طاهر الجزائرى	١٢٦٨-١٣٣٨هـ
١٩	سليم الآمدى البخارى	١٢٦٨-١٣٤٧هـ
٢٠	محمد أبو الخير عابدين	١٢٦٩-١٣٤٣هـ
٢١	حسن المدور البيرونى	١٢٧٩-١٣٤٢هـ

محمد صنع الله الخالدى

١١٤٠ — ١٢٠٥هـ

وقفت له على ترجمة بخط الأديب المعروف خليل الخالدى، قال :

هو أحد أجلاء شيوخ المتأخرين ، الجامع أطراف الكمال ، والرجل الذى يعد بكثير من الرجال ، العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، الرحالة المجتهد شيخ الإسلام الشيخ محمد صنع الله الخالدى ، ابن المحقق العلامة الشيخ محمد صنع الله الكبير ، ابن خليل ابن القاضى شرف الدين الديرى الخالدى .

ولد فى السنة الموفية الأربعين ومائة وألف ، بعد وفاة أبيه . فلذلك سمى باسم أبيه . كان رحمه الله عالماً عاملا ، ورعاً زاهداً تقياً نقياً ، بارعاً فى العلوم خصوصاً الفقه والعربية . أخذ وتلقى عن صفوة من أعلام الأزهريين ، وأجازه كثير من أجلاء المصنفين ، وقد حضر فى مبدء أمره على العلامة الشيخ محمد ابن على المقرى الحنفى الأزهرى : شرح الأجرومية للشيخ خالد ، والأزهرية ، ومراقى الفلاح ، والملتقى ، والدر ، وشرح بدء الأمالى ، والأربعين النووية .

وحضر على العالم الشيخ مصطفى الأسقاطى : شرح الكنز لملا مسكين ، وحاشية الكنز لخاتمة المحققين الشيخ أحمد الأسقاطى . وأخذ عن علامة المعقول والمنقول الشيخ على العدوى الصعيدى المالكى : شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، وشرح السنوسى فى المنطق وغير ذلك ، وسمع الأربعين

النووية ، وشرح الرجبية ، وقطعة من «الإتقان ، فى أحكام القرآن» على الشيخ محمد أبى زيد الشهرزنى الأزهرى ، وأخذ وتلقى : التوضيح لابن هشام ، وألفية ابن مالك ، وجوهرة اللقانى ، وإيساغوجى ، على العلامة على بن خضر بن أحمد العروسى ، أحد أصحاب الشيخ أحمد النفروای تلميذ العلامة محمد الخرشى الآخذ عن الشيخ عبد الباقى الزرقانى . وقرأ على العلامة الشيخ محمد المصيلحى : شرح جمع الجوامع للمحلى ، وشرح التلخيص للتفتازانى وشرح التهذيب له أيضا . وشرح قواعد الإعراب للشيخ خالد ، والأربعين للنووى ، ونبذة من الشمائل ، ومتن السمرقندية ، ومتن البردة ، وغير ذلك .

وسمع على العالم العلامة الشيخ حسن بن نور الدين على المقدسى : الكنز وشروحه المعتبرة ، والدرر والغرر مع الحواشى .

وحضر على المحقق العلامة الشيخ أحمد بن يونس الخليفى الشافعى الأزهرى : مختصر السعد للتفتازانى ، وشرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، وعصام الدين فى البيان ، وشرح الرسالة العضدية ، وشرح المحلى على جمع الجوامع ، وشرح الخبيصى على التهذيب ، وشرح القطب على الشمسية .

وحضر على العلامة الأجل المجتهد الشيخ عيسى البراوى : الشرح المختصر للسعد التفتازانى ، ومشرح السنوسية ، وشرح العلامة ابن عقيل على ألفية ابن مالك مرات . وشرح الأشمونى وشرح الفاكهى على القطر ، وشرح الاستعارات للعصام ، وشرحها للشيخ أحمد الملوى ، وشرح الحديث وغير ذلك .

وقرأ على العلامة المدقق الشيخ أحمد الدمنهورى شرحه على متن

الاستمارات للسمرقندى ، وشرحه على السلم فى علم المنطق ، ومتن (الكبرى) المسماة بتحفة الملوك ، و (الصغرى) المسماة بدرة التوحيد فى علم الكلام ، وبعض كتب النحو .

وقرأ على المحقق العلامة الشيخ أحمد الجوهرى الخالدى الأزهرى : شرح المصنف للسنوسى ، وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام مرتين ، وقطعة من شرح الشيخ عبد السلام على الجزرية ، ومتن الأربعين النووية وشرحها لابن حجر ، وقطعة من شمائل الترمذى ، وقطعة من متن الشفاء .

كما تلقى عن علماء آخرين كثيرين منهم : العلامة حسن بن على المدابغى الأزهرى ، والعلامة الشيخ سليمان الزيات الشافعى الأزهرى ، والعلامة الشيخ سليمان المنصورى الحنفى ، والمدقق الشيخ محمد الفارسى الفارسكورى الأزهرى . وقد أجازه العلامة الشيخ عبد الله الشبراوى ، والعلامة الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوى ، والعلامة عمر بن على الطحلاوى المالكى الأزهرى ، والعلامة المحقق محمد سالم الحفناوى وأخوه يوسف الحفناوى .

وأجازه من أقرانه العلامة محمود ابن الملا على العانى تلميذ المحقق ملا إلياس الكردى ، ومدلج البغدادى ، والشيخ محمد الدلجى الحنفى تلميذ الشيخ سليمان المنصورى ، والشيخ محمد بن بدير بن محمد المعروف بابن حبيش المقدسى تلميذ الشيخ عيسى البراوى ، والشيخ أحمد الراشدى .

وقد حج المترجم سنة ١١٧٨ هـ ، وأجازه الشيخ أحمد الدمنهورى وهو فى دار منى حينما كان حاجاً فى تلك السنة بصلاة شريفة نصها — كما

رأيت بخطه :— « اللهم صل على أشرف مخلوقاتك ، سيدنا محمد وعلى آله عدد معلوماتك . . » .

وتوفى رحمه الله سنة ١٢٠٥ هـ ، ودفن بتربة : مأمن الله خارج القدس . وترك ثلاثة من الذكور هم : محمد ، وموسى ، وعمر . وأكبرهم محمد ولد سنة ١١٧٤ هـ وتبحر فى العلوم ، وأجازه والده ومحدث الشام الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبرى ، وتوفى سنة ١٢٠٥ هـ .

كمال الدين الغزي

١١٤٨ — ١٢١٣ هـ

وقفت له على ترجمة بخط الأستاذ العالم السيد عيسى اسكندر المعلوف ، فى كتابه « مغاوص الدرر فى أدباء القرن التاسع عشر » ملخصه مما جمعه من مخطوطات ومصادر كثيرة ، قال :

هو السيد كمال الدين محمد ، بن أبى الكمال محمد شريف ، بن شمس الدين محمد ، بن عبد الرحمن ، بن زين العابدين ، بن زكريا ، بن بدر الدين محمد ، ابن رضى الدين محمد ، بن رضى الدين محمد أيضاً ، بن شهاب الدين أحمد ، ابن عبد الله الدمشقى العامرى الحسنى الصديقى الشهير بابن الغزى ، لأن أجداده كانوا فيها وانتقل بعضهم إلى دمشق كما فى كتابى « تاريخ الأسر الشرقية » .

ولد فى دمشق سنة ١١٤٨ هـ بدارهم شمالى الجامع الأموى الكبير ، وتخرج على والده وغيره من علماء عصره مثل : أبى الإقبال السقطى الصالحى ، وأبى الأسرار السلمى ، وأبى العباس بن حيمور البقاعى ، وأبى الحسن علاء الدين الغزى العامرى ، وأبى الإخلاص المرجانى البقاعى المعروف بالطباخ ، وأبى الصفاء بن أويس الحموى الدمشقى الشهير بالعلوانى ، وأبى الأسرار قطب الدين العبد لانى الكردى ، والكمال بن قطب الدين مصطفى البكرى ، وخال المترجم أبى البركات الأيوبى ، وتاج الدين بن إلياس المدنى ، وعبد الرحمن الكردى البانى .

وهو من بيت علم شريف ، فوالده أبو الكمال محمد شريف بن شمس الدين محمد الغزى ، وعمه أبو الوفاء وجيه الدين عبد الرحمن ، وجدته لأبيه طاهرة خاتون ابنة الشيخ عبد الغنى النابلسى .

وكان له وُلع بالأدب والتاريخ والتراجم — فمن مؤلفاته : « الورد الأنسى والورد القدسى فى ترجمة سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى » . وهو مجلد ضخم فيه فوائد كثيرة عن ذكر الصالحين وآثار الأولياء ، وذكر نسب آل النابلسى وتراجم أسلافه ، ثم ترجمته مفصلة وأطواره وأحواله وزهده ومكارم أخلاقه وذكر مشايخه فى أنواع العلوم وأصناف الفنون ، وذكر طريقة النقشبندية والقادرية بتفصيل كاف ، ثم تراجم تلاميذه ، والآخذين عنه ومريديه والمتصلين به ، ثم تآليفه النافعة وتحريراته الجامعة ، والمكاتبات والمدائح الواردة عليه ، وكراماته وكلماته وحكمه [ونسختى بقطع نصف كبير فى ٤٢٠ صفحة بخط جميل دبجها عبد الكريم الحمزاوى(١) .]

ومنها تذكرته التى هى آخر التذاكر المفيدة ، وتقع فى ١٤ جزءاً ، وفيها أدب وتاريخ وتراجم وحوادث . وكتابه المفيد « النعت الأكمل » فى طبقات الحنابلة ، وكتاب « إتحاف ذوى الرسوخ » وهو معجم شيوخه ، وديوان شعره وقد ذكره مراراً — فى (الورد الأنسى) . ورسالة سماها : « لمعة النور بتضمين من عادة الكافور » أكثر فيها من التضمين للمصراع المشهور « من عادة الكافور إمساك الدم » .

---

(١) هذا ما علق عليه المغفور له العلامة المحقق احمد تيمور باشا بخطه — رحمه الله تعالى .

وله أشعار كثيرة ذكرها «المرادى» ، كما جمع كثيراً من دواوين الشعراء كالبهلول ، والدكدجى .

ولا نعرف من كتبه الباقية الآن سوى (الورد الأنسى) ، وبعض أجزاء من « التذكرة » ولعل بقيتها فى مكاتب الخاصة .

ثم كتب إلينا الأستاذ المعلوف أن صاحب الترجمة له بعض المجاميع ، وفى بعض أجزاء تذكرته أشعار تركية تدل على إتقانه هذه اللغة . وكانت بينه وبين الشيخ خليل المرادى مفتى دمشق صاحب تاريخ « سلك الدرر » مودة وثيقة العرى ومساجلات ومراسلات ، ونقل المرادى كثيراً من شعره .

ثم استطرد قائلا : وممن راسله شعراً الشيخ السيد أحمد البربير الذى جمعت ديوانه بيدى ، وهو بليغ نادر مشتت فى ثنايا المخطوطات والكنانيش .

وقد كتب على ضريحه ، فى مدفن أسرته الغزية فى « تربة الدحداح » تاريخ وفاته سنة ١٢١٣ هـ فى بيتين من نظم صديقه السيد عبد الحليم اللوجى ، وهما :

أيا سحب الرضا والعفو سحى ... على قبر حوى النفس الزكيه
محمد الفتى الغزى أرخ ... كمال الدين مفتى الشافعيه

٩١ ٥٣٠ ٩٥ ٤٩٧

١٢١٣ هـ

وهو يخالف المتعارف من أن وفاته كانت سنة ١٢١٤ هـ فإما أن الشاعر اضطر إلى تنقيص سنة لما فى شطر التاريخ من المحاسبة التى لا يمكن زيادة واحد عليها ، وإما أن وفاته فى تلك السنة . والله أعلم .

والمترجم لم يعقب ، بل إن « بنى الغزى » فى دمشق هم من سلالة ولدى شقيقه ، وقد انقطع العلم فيهم منذ عهده .

محمد العطار

١١٧٧ هـ — ١٢٤٣ هـ

وقفت له على ترجمة جمعها بخطه الأديب المعروف السيد عيسى إسكندر المعلوف قال :

توجد ثلاث أسر مشهورة باسم العطار ، ولا نسبة بين إحداها والأخرى . وإن اشتركت فى صنعة العطارة .

فبنو العطار فى مصر أصلهم من المغرب ، وبنو العطار فى دمشق أصلهم فيما يقال من حماه من بنى عسكر ، ومنهم أسرة حلبية منها المترجم له[1] . وتوجد أسرة العطار أيضاً فى اللاذقية ، ولا تمت إلى أحد من هذه الأسرة بقرابة .

والمترجم هو الشيخ محمد بن حسين الشهير بالعطار وبالمدرّس الحنفى ولد بدمشق فى ٢٧ رمضان سنة ١١٧٧ هـ — وأخذ عن والده الشيخ حسين وغيره من العلماء ، واشتغل بالعلوم العقلية واشتهر فيها ، وظهر ميله إلى مذهب « الوهابية » — فتجافاه الناس واعتكف فى داره يقرأ ويؤلف فى فنون الحرب والعقليات ، فوضع رسائل ، وتوفى بالطاعون سنة ١٢٤٣ هـ .

وكانت له مكانة رفيعة علمية لاختصاصه بفنون الفلك والحساب وسائر

---

(١) إن أسرة العطار التى نشأ منها المترجم الآن هى حلبية لم يكثر أعقابها فى دمشق التى نزلها الشيخ محمد هذا ، ولم يعقب فيها وكانت له شقيقة تزوجت الشيخ حسين رمضان الشهير بالنعسان فى دمشق ، وهو ابو جد صديق الشيخ عبد القادر بدران لأمه .

الرياضيات ، واتصلت أوراقه بمكتبة آل الشطى فى دمشق ، وهى اليوم فى حوزة صديقى السيد محمد جميل الشطى النائب والإمام الحنبلى فى دمشق .

وله ترجمة فى كتابه « روض البشر فى أعيان القرن التاسع عشر »(١) . باختصار . ولاعتزاله الناس لم يدرس عليه إلا قليل من مريديه تلقوا عنه بعض العلوم العقلية ، وترك رسائل نفيسة بخطه وخط غيره ، أشهرها رسالة « بلوغ المطلوب فى القنبرة والطوب » وله قصيدة موجودة بخطه فى المكتبة الشطية .

ومنها « رسالة المزولة » فى ثمانى ورقات بخطه ، ومنها نسخة بغير خطه فى مكتبة الشيخ عبد الرزاق البيطار .

ومنها « رسالة فى القبان » وكيفية عمله بطرق هندسية بديعة ، وعندى منها نسخة حديثة الخط .

وبين أوراقه جداول كثيرة منها لسهم القوس وقوس السهم فى الربع المجيب . كتب عليها الشيخ محمد الطنطاوى ما نصه : إنه يمكن أن يستخرج منها جيب القوس وقوس الجيب .

ومنها رساله فى « علم التنجيم » بخطه فى عشر صفحات . رحمه الله .

---

(١) هو كتاب آخر فى علماء القرن الماضى مرتب على حروف المعجم جمع فيه مؤلفه ٣٠٠ تراجم من مشاهير القرن و بينهم بعض أحياء .

مُوسَى الخَالِدِيّ

١١٨١ — ١٢٤٧ هـ

هو : السيد موسى الخالدى — الابن الثانى للعلامة الشيخ محمد صنع الله الخالدى . كان عالما محققاً ، ومصنفاً مدققاً ، تقلد المناصب العالية ، كقضاء القدس والمدينة المنورة ، وتدرج فيها حتى ارتقى إلى الوزارة العلمية وهى قضاء عسكر أناضولى فى عهد السلطان محمود الثانى . وكان يجله ويعتمد عليه حتى لقد أرسله للفصل فى حادثة مهمة وقعت بالقرب من أنطاكية سنة ١٢٤٧ هـ فتوفى رحمه الله بأنطاكية مسموماً فى تلك السنة ، ودفن بها . وهو جد يوسف ضيا » (باشا) الخالدى لأمه . وقد ذكر فى « تاريخ الوقائع العثمانية الرسمى » وذكره جودت (باشا) أيضاً فى تاريخه العثمانى عند ذكر تلك الحادثة .

وكان مولده كما وجد بخط أبيه ليلة الثلاثاء بعد المغرب من الليلة الموفية لعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ . أخذ العلوم عن كثير من العلماء والأعلام ، منهم الشيخ محمد البديرى المقدسى ، وأجازه والده بجميع مروياته ومسموعاته . كما أجازه فى الطريقة الخلوتية والقادرية وبجميع الأحزاب القادرية والخلوتية والشاذلية السيد كمال الدين الصديقى ابن السيد مصطفى البكرى وهو سند فى الطريقة رفيع ، وخليفته الشيخ محمد أبو السعود .

وكان رحمه الله ذا خط حسن ، وعقل راجح فى الفقه ، له فيه رسائل تدل على طول باعه فيه وسيلان قلمه ، كما أن له يدا طولى فى الفلك والأزياج .

وله فى القدس وقف ، وقفه على أولاده وذريته ، ولم يخلف من الذكور سوى ولده السيد مصطفى . رحمه الله .

عبد الرحمن الكزبري الثاني [1]

١١٨٤ — ١٢٦٤ هـ

وقفت له على ترجمة كتبها السيد محمد أبو الخير عابدين الذى كان مفتياً للشام نصها :

هو الشيخ الإمام الدمشقى الأصل والمنشأ الشافعى المذهب ، محدث الأقطار الشامية على الإطلاق ، بل إمام العصر فى جميع الآفاق ، الحائز من طارف الرواية وتلادها أعظم الذخائر ، المالك لأزمة التحقيق والدراية كابراً عن كابر ، بركة الدنيا فى زمانه ، وخاتمة الحفاظ فى أوانه ، أستاذ الأساتذة العظام ، وشيخ الشيوخ الأعلام ، العالم الكبير ، والإمام المحدث الشهير ، شيخ مشايخنا أبو المحاسن زين الدين الأثرى ، سيدى الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ، المنقب بوجيه الدين ، مدرس الحديث بجامع بنى أمية ، ابن المرحوم بركة الأنام الإمام المحدث الشهير الأثرى الشيخ شمس الدين محمد الكزبرى المولود بدمشق سنة ١١٤٠ هـ والمتوفى بها سنة ١٢٢١ هـ ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكزبرى الكبير ، المولود بدمشق سنة ١١٠٠ هـ ، والمتوفى بها سنة ١١٨٥ هـ ، ابن محمد بن زين الدين الكزبرى الدمشقى ، تغمدهم الله برحمته وغفرانه ، وأغدق على ضرائحهم سحائب رحمته وإحسانه .

---

(١) كان الإمام عبد الرحمن الكزبرى الأول جد المترجم لأبيه ، رحمهم الله جميعاً

أخذ عن جملة ممن أسانيدهم فى غاية العلوّ والاشتهار ، كالشمس واسطة النهار ، يقاربون الخمسين من دمشقيين وحجازيين وعراقيين ومصريين . وغالبهم بالإجازة مشافهة وكتابة ، أو مكاتبة من بلادهم ، كما ذكره الشيخ عبد الغنى الميدانى ، شارح متن القدورى فى الثبت الذى جمعه له .

وكانت ولادته غرة شوال سنة ١١٨٤ هـ بدمشق ، وتوفى بمكة المكرمة نهار الأربعاء ١٤ من ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ — وصلى عليه بالحرم الشريف المكى ، ودفن فى « المعلى » كما رأيته بخط شيخنا المرحوم ابن العم السيد محمد علاء الدين عابدين ، رحمه الله تعالى .

وقد اطلعت على إجازة للمترجم ولولديه المرحومين الشيخ عبد الله والشيخ أحمد مسلم مدرس الحديث ، ولأولادهم — من الشيخ محمد بن أحمد العطوشىّ الملتجىء إلى حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخطه المتبوع بختامه ، بتاريخ عاشوراء سنة ١٢٥٩ هـ .

أحمد الحجار الحلبي

١١٩٠ — ١٢٧٠ هـ

وقفت له على ترجمة بخط أحد أتباعه وتلامذته . . . قال : هو علم العلم الباذخ ، وطود الفضل الشامخ ، عالم الأئمة إمام العلماء ، العالم العابد الورع الناسك الزاهد ، سيف الله البتار ، القائم بالله لله فى جميع الأطوار ، أبو عبد الرحمن أحمد الحجار ابن قاسم شنون ، الحلبى وفاة ومولداً ، الدمشقى محتداً .

ولد رحمه الله فى حدود التسعين من المائة الأولى بعد الألف من الهجرة ، وأخذ القرآن الكريم عن الشيخ الإمام الورع الشيخ عبد الكريم الترمانينى ، والد السيد أحمد الترمانينى . وقرأ عليه مقدمات العلوم كالآجرومية وغاية أبى شجاع وغيرهما ، ثم لازم الإمام الشهير بالشافعى الصغير السيد أحمد البيراوى المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ ، وأخذ عن طائفة من أجلاء العلماء فى ذلك العصر ، وتلقى علوم التوحيد عن العارف بالله زين المرشدين ، أبى محمد إبراهيم الكبير الهلالى المتوفى سنة ١٢٣٨ هـ وسلك عليه الطريق الهلالى المأخوذ من الطريقين القادرى والخلوتى ، وأدخله الخلوة الأربعينية مرات ، حتى ظهرت عليه أمارات النجابة ، وسطعت عليه أنوار المعارف والفتوحات الإلهية ، فأذن له فى الهجرة إلى دمشق ، وقال له : لاتأكل غير البصل . فهاجر إليها وأقام مجاوراً فى المدرسة البدرائية عشرين سنة ونيفا ، معتكفاً على أكل البصل

فى جميع تلك المدة . ولم يتناول غيره أدماً سوى مرة اشتهى الدسم فأذاب شحماً وقلى به بصلاً فاعترته الحمى للثلثة ثمانية أشهر ، فأحسن التوبة، وعاد إلى البصل بقية إقامته بدمشق .

وكان إذا اتفق له حضور وليمة فى تلك المدة يقول لصاحب الدعوة : أحضر لى بصلاً فإنى لا آكل غيره . بهذا أمرنى شيخى ! .

ومن فضلاء ذلك العصر الذين أخذ عنهم : سعيد الحلبى ، وحامد العطار ، وعبد الرحمن الكزبرى ، والسراج الداغستانى ، والضياء خالد الكردى النقشبندى الذى اصطحبه لزيارة بيت المقدس وعادا معاً إلى دمشق حيث ألبسه الخرقة النقشبندية وأقامه خليفة له — لكن غلب عليه الاشتهار بالعلم وتدريسه ، وانتفع به خلق كثير هناك ، منهم السيد إبراهيم العطار . ثم استدعاه أهل حلب للاحتياج إليه . وقلد بها فتوى السادة الشافعية ، والتدريس فى مدرسة بنى العشائر والصلاحية وغيرهما ، مع الإمامة والخطابة فى الشعبانية ، وانتفع به خلق كثير ، وتهذب على يديه رجال وأبطال ، منهم العلامة محقق المعقول والمنقول مدقق الفروع والأصول أبو محمد عبد القادر بن عمر بن صالح الشهير بالحبال ، الزبيرى نسباً الحنفى مذهباً ، صاحب « نتيجة الأفكار نظم تنوير الأبصار » وغيرها من التآليف المنقحة المفيدة ، المتوفى أواخر شعبان سنة ١٣٠٠ هـ . والعلامة الشيخ هاشم بن عيسى الشافعى صاحب « شرح الألفية » وغيره ، المتوفى آخر رمضان سنة ١٢٩٢ هـ وزينة البلاد ومفخرة الزهاد وعالم العباد السيد إسماعيل البابيدى شارح الآجرومية بلسان الحكمة والوعظ شرحاً

نفيساً واسعاً فى نحو عشرين كراسة ، وصاحب التصانيف العديدة نظماً ونثراً المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ ومنهم العلامة الشيخ صالح أفندى الجندى العباسى مفتى معرّة النعمان .

وحينما أراد السلطان العثمانى عبد المجيد الاحتفال بختان ابنه السلطان عبد الحميد ، أمر باستدعاء صاحب الترجمة فى مقدمة من دعاهم من علماء البلاد الإسلامية ، فلما دخل على السلطان للتسليم صافحه وقرأ عليه ويده فى يده « سورة العصر » فهملت دموع السلطان اتعاظاً . وحظى عنده بالمرتبة العليا ... وعرض عليه كثيراً من الخلع والهدايا السنية ، فلم يقبل منها شيئاً ، وعاد إلى حلب معززاً مكرماً ، حيث واصل الاشتغال بالعلم تدريساً وتصنيفاً .

ومن مصنفاته : « كنز المعانى شرح رسالة الشيخ قاسم الخانى فى الميزان » وقد أفاد فيه وأجاد ، ولم يترك مجالاً لأحد من النقاد ، بين فيه الموجهات بشباك ظريف ، ووضع شباكاً آخر للأشكال الأربعة بين فيه كيفية وضع تركيب ضروبها ، وأتى فيه بعجائب وغرائب لم يسبق إليها . وافتتحه بقوله : « الحمد لله الذى زين نوع الإنسان بفصيح المنطق والكلام » واختتمه بقوله : وقد وافق الفراغ منه فى دمشق المحمية ، فى المدرسة البدرائية ، قبيل الزوال من السبع الرابع من العشر السادس من الثلث الثانى من السدس الثالث بعد الواحد الصحيح من هجرة النبى الفصيح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وشرف وعظم ، والحمد لله رب العالمين » . وكتب ولده عبد الرحمن عليه حاشية نفيسة سماها « تُحفة المُعَانى على كنز المَعَانى » .

ومن مصنفاته : « نظم مختصر المنار وشرحه » ، و « نظم الرسالة الفتحية

فى أعمال الربع المجيب وشرحه » ، « ونظم معفوات الصلاة وشرحه » . « ونظم الجمل » . ونظم الحل والكسور سماه : « مخدرات الحور » وشرحه ولده عبد الرحمن شرحاً نفيساً سماه : « الجوهر المنثور على مخدرات الحور » ورسالة فى الجهاد رتبها على ثمانية أبواب عدد أبواب الجنة ، وهى رسالة جيدة فى بابها ، فى نحو خمسة كراريس . ورسالة فى النحو سماها : « تمرين الطلاب » رتبها ترتيباً حسناً ، وهى أول ما ألف فى حداثة سنة ، وأقرأها لجماعة من المبتدئين ، كان منهم السيد أحمد الترمانينى الشهير ، وبذا عده فى شيوخه . وله شعر رائق منه :

إنى لأعجب والحجارة صنعتى
وأشدّ ما فيها علىّ يهون
كيف ابتليت بقلبك القاسى الذى
عمرى أعالجه وليس يلين

وله مشطر ابيتى الخفاجى :

وحق المصطفى لى فيه حب
بديع فى البرايا لا يشبه
مَحَا حبّ الورى عنى ولكن
إذا مرض الغرام يكون طبه
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى
لألقى وجه من أمسيت صبه
ولا تحلو جنان الخلد إلا
إذا كان الفتى مع من أحبه

وكان مع اشتغاله بالعلم ، كثير الشغف والولع بقضاء مصالح العامة عند الأمراء والحكام ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لايرد مستشفعاً به قط ، وطالما تحمل المكاره من العامة ، وصرف زمنه مسلوب الراحة لأجلهم . وكثيراً ما كان يأتيه المستشفع فى حال تهيئه للوضوء ، فيخرج معه إلى دار الحكومة بهيئته التى هو عليها ، مشمراً عن ذراعيه ، من غير سراويل ولا حزام .

وكان فى داره شجرة رمان ، فربما أخذ فى يده عوداً منها كهيئة عصا يشير إلى الحكام بها وقت حديثه معهم . فترتعدُ منه فرائصهم ويتهيبونه ، وربما أغلظ لهم القول — إذ كان لا تأخذه فى الله لومة لائم .

كما كان أعظم ولعاً بإحياء المساجد المندرسة والبحث عن أوقافها ، حتى أحيا جملة منها ، من بينها مسجد كان أحد قناصل الدول الأجنبية قد أدخله فى إصطبل دوابه . فتصدى الشيخ لإعادته مسجداً ، وجاء به بفعلة فتحوا بابه ، وأنشأوا محرابه ، ثم انصرفوا إلى بيوتهم ، وعادوا فى الصباح لإتمامه فإذا بالمسجد كله قد هدم ووضعت على أرضه قاذورات نجسة . وما وصل نبأ ذلك إلى الشيخ فى داره ، حتى غادرها مسرعاً إلى المسجد وهو يبكى وينتحب ، وتجمع الناس حوله خاصة وعامة ، وارتفعت أصواتهم بالبكاء معه ، ثم اشتد هياج العامة وصمموا على البطش بذلك القنصل ، وانطلقت جموعهم تحاصره فى الخان الذى كان مقيماً به ، وهو أشبه بالحصن ، كأغلب أبنية حلب .

فتملكة الذعر ، وأطل عليهم من طاق في الخان منادياً : « يامعشر المسلمين انصرفوا ، ولكم علىّ أن أبنى المسجد أحسن بناء » . ولكنهم لم ينصرفوا، وأخذوا يضيقون الحصار عليه ، والشيخ معهم .

ولم يجد الوالى بُدًّا من النزول بنفسه لتدارك الأمر ، وأعلن أمام الجموع الكبيرة أنه سيبدأ فوراً إعادة بناء المسجد ، ولن ينصرف حتى يتم بناء المحراب أمامه وأمام الشيخ ، فهدأت ثورتهم ، وعدلوا عن حصار القنصل . وتم بناء المسجد على أحسن صورة تليق بعزة الإسلام ومجده . طيب الله ثرى الشيخ وأجزل مثوبته ، ورحم الله من عاونهم وعاونوه .

مصطفى الخالدى

١٢٠٢ — ١٢٦٠ هـ

لايحضرنى تاريخ ولادته [وقبل سنة ١٢٠٢ هـ] وكان شهماً فاضلا ، ذا ديانة ورياسة ، عظيم القدر ، تقياً نقياً ، خطه حسن ، تلقى الفرائض من سنبان أفندى ابن أحمد البوزقيرى، من أفاضل الروم . وتلقى طرفا من الأمهات الست والشفاء والأربعين النووية وكتاب الشمائل للترمذى عن العالم الأجل المحدث يوسف بدر الدين المدنى ، الذى تلقى صحيح البخارى سماعاً لجميعه مع التحقيق والإتقان والنظر والإمعان على محدث عصره الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبرى الدمشقى الشافعى ، عن شيخه السيد على بن عبد البر الونائى المدنى عن المعمر عبد القادر بن أحمد الأندلسى .

وقد رأيت بخط المحدث يوسف بدر الدين أن محمد الأمير الصغير قد أجازه حسبما حواه ثبت والده محمد الأمير الكبير . وقد أجيز السيد مصطفى المشار إليه من جماعة ، منهم السيد يوسف بدر الدين المشار إليه ، ومحدث الشام الشيخ حامد بن أحمد العطار ، ووالده موسى الخالدى ، والسيد محمد وفا ، وصاحب الطريقة الشيخ محمد عثمان الميرغنى الختم المكى ، والشيخ عبد الله ابن محمد البديرى المقدسى. وكان رحمه الله معروفاً بفضله وعلو قدره وجاهه وعراقة مجده . وهو مصطفى حامد بن موسى بن محمد صنع الله بن خليل بن القاضى

شرف الدين بن صالح . ولاعجب فهو من أهل بيت جميعهم علماء ذوو دين وتقوى ، كما أشار إلى ذلك محقق المعقول والمنقول صاحب التصانيف المفيدة العلامة الكفوى فى تأليفه «طبقات الحنفية»، حين ذكر السعد الدرى الخالدى أحد أجداد صاحب الترجمة وغيره من بنى الدرى الخالديين

وقد توفى السيد مصطفى فى السنة الموفية لستين ومائتين وألف، وهو قاض بالقدس الشريف ، ودفن بباب الأسباط قرب الصحابى الجليل عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه .

مُصْطفى المغربي الدرغوثي

١٢٠٥ — ١٢٨٠ م

وقفت له على ترجمة فى كتاب ألفه ابنه الشيخ عبد القادر المغربى أحد أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق(١) — وسماه « : آل درغوث فى طرابلس الشام المشهورين بآل المغربى » أودعه ذكر أصل أسرتهم فى تونس ، ثم تراجم أجدادهم فى طرابلس الشام . وقد جاء فيه أن والده الشيخ مصطفى المغربى الدرغوثى نزل دمشق الشام فى حدود سنة ١٢٧٥ هـ ، وكان يحضر مجلس الأمير عبد القادر الجزائرى الشهير حيث يجتمع العلماء والفضلاء ويتبارون فى المسائل العلمية والمناظرات الجدلية ، ومنهم الشيخ مصطفى المغربى التهامى ابن عمة الأمير ، فكان يعجب بمناظراتهما خاصة . واتفق أن تناظرا يوماً فى مجلسه فى قول الشاعر :

(فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفراً رسومها قلما)

وهو من ألغاز النحاة ، فكان كل منهما يوجهه توجيها فى الإعراب والمعنى ، يناقض به الآخر ، وقد حمل هذا الجدل الشيخ مصطفى المغربى الدرغوثى على أن كتب رسالة فى هذا البيت وما يتعلق به من جهة اللغة والإعراب والمعنى .

---

(١) قبل وفاته بسنوات عين رئيساً للمجمع العلمى العربى بدمشق الشام ، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وذكر الأستاذ « المغربى » أيضاً — فى مؤلفه المذكور أن والده ألف رسالة تفسير « قل هو الله أحد » وقد قرظها علماء الشام وغيرهم فى ذلك العصر ، كالأمير عبد القادر الجزائرى ، والشيخ عبد الله الحلبى ، والشيخ الكزبرى ، والشيخ محمد مصطفى التهامى المغربى ، وكان تقريظه الأخير لها نظماً ونثراً ، وقال فيه بعد الديباجة ما نصه :

« وبعد فقد استقرأت سطور هذه الصفائح ، واستقصيت معانى طروسها الصبائح ، فتمثلت لى رقوم أقلامها بآثار سيوف قواطع ، ورسوم أعلامها بأزهار ونجوم طوالع ، بواطن دلائل حججها هداية تذكار للمسترشدين ، وظواهر غلائل لججها رجوم للشياطين والمعتدين . معالم سليم الفطرة للذوق ، ومكارم مريد الحلية بالطوق . حائزة من حوز البلاغة السحر الحلال ، جائزة من فوز البراعة الشوط الحلال . قمن أن تسمى عند الأنام ، بما سمى به الإمام ، فرائد الاغتنام ، رسالة التأسيس والتقديس ، فى الرد على أهل التلبيس ، أو منهاج الخلاص ، فى تفسير سورة الإخلاص . فلقد أبدع فيها مؤلفها غاية الإبداع ، ورصع فوائد فرائدها ترصيع الاختراع والابتداع . وقف فيها على الحقائق ، ودعمها بدعائم الدقائق :

فهاك عقوداً قد حكتها جواهر
بلى ، وحكتها فى سناها زواهر
لها زجل الترصيع يسبى نظامه
مكللة بالدر تنمو الظواهر

مضمنة الألفاز يزدان حسنها
على القمر المكمول والسر ظاهر
فإن حكت الإبريز قل ذاك وصفها
بلى ، وحكاه البدر إن تم باهر
وحينئذٍ فاسمع تماثيل مبتغ
يسرك من بشراه ليلاً يساهر
يماثلها الإكليل إن زان برجه
وشولتها للغيث والنهر ناهر
كذا علم يتلو الغروب ابتهاجه
بحمرته والوقت حانت مظاهر
نعم فلق الإصلاح أبدى سفوره
ودلّ على شمس المسرات قاهر
سماء سرايا الغزو إن نظمت به
لها دبران الجور ولى يعاهر
فذى مثل الأوراق فى نسج رقها
وفى قمر وقت اتساق مزاهر
وشيمته قد صانها الضوء معدلا
بذا كرمت رفعاً وعلواً تجاهر
إليك ومنك انحاز للعلم مصطفى
مآثر حلتها الرقوم الأشاهر

لقد ظفر القرم الذى حاز مجدكم

بمنبتكم فامتاز بالشهم ماهر

كتبت لكم ذاك النوال الذى جرى

به القلم المعلوم والدهر داهرُ

نعم هو فى الأعراق قد حق ظاهراً

ولا أحد عن منبت الأصل ناهر

أتتك بنات الفكر منها ابتكارنا

ببكر عذار اللب تعنى تصاهر

لها كنؤ بالغرب أنسى لوحشها

ويؤنسها من تونس الفخر طاهرُ

خلص الله أعمالنا وأعماله ، وسدد أقواله وأفعاله ، ويسر لنيل المراد آماله . كتبه خديم العلماء ، ومقبل الثرى تحت أقدام الكرماء ، المقتفى باعتقاده منهجهم السامى (محمد المصطفى بن أحمد بن التهامى) المالكى الأشعرى المغربى الفريسى نجارا . الوهرانى تعلما ، ثم الدمشقى دارا ، الحسنى الحسينى حسباً ونسباً وشعاراً . عرفه الله قدر نفسه ، ولطف به فى الدنيا وحال حلوله فى رمسه . وغفر له ولوالديه وللمسلمين أجمعين ، آمين ، والحمد لله رب العالمين . ا

ووقفت على ترجمة للشيخ مصطفى النهامى — بخط نسيبه المرحوم السيد محى الدين الحسنى ، قال رحمه الله :

غاية ما أعلم من ترجمة نسيبنا المرحوم العلامة السيد الحاج مصطفى النهامى أنه حينما تولى الأمير عبد القادر الجزائرى عينه كاتباً لسره ، ولما شرع فى تنظيم العساكر عينه خليفة يقود قطعة من الجيوش ، وقد شاهد عدة حروب مع الأمير عبد القادر(١) ولازال على سيرته الحسنة إلى أن صحبته إلى «امبواز» قرب مدينة باريز ، ثم إلى بروسة ، ودمشق . وكان يدرس فى عدة فنون فى جامعها الكبير ، وتقلد إمامة المالكية فى الجامع الأموى . وكان رحمه الله له جلد عجيب فى العبادة ، ففى شهر رمضان من كل عام كان بعد أن يصلى صلاة التراويح ، ينفرد وحده فى الجامع ويشرع فى صلاة ركعتين يختم فيهما القرآن الشريف بتمامه ، ويظل هذا دأبه فى كل ليلة من الشهر .

ومازال على تلك الحاله المرضية(٢) إلى أن قضى نحبه على رأس الثمانين بعد المائتين والألف ، وكان الأمير عبد القادر غائباً فى البقاع الحجازية .

---

(١) لما تمت البيعة للأمير عبد القادر واستقام له الأمر واتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة قسم ما دخل فى طاعته إلى مقاطعتين : ا ـ مقاطعة تلمسان وولى عليها السيد محمد البوحميدى الوهاصى : ب ـ : مقاطعة حضرته معسكر وولى عليها السيد الحاج مصطفى بن أحمد التهامى ، وكان رئيس ديوان الإنشاء .

(٢) المترجم المشار اليه لازال يتقلب فى الوظائف على تلك الحالة المرضية ، مدة أربع عشرة سنة .

محمد التميمي المغربي

١٢٢٢ — ١٢٨٦ هـ

ترجمه العلامة الآلوسي في تاريخه « غرائب الاغتراب » قال :

حضر لمصر كبيراً من بلده ، فلم يتلق العلم بالأزهر ، بل جاءها عالماً ، ولقي شيوخها فأقروا بفضله وسعة علمه وذكائه ، ثم جعل ناظراً لمسجد محمد بك أبي الذهب وأوقافه ، وكانت نظارة المساجد المشهورة إذ ذاك تعطى للعلماء بتقرير من القاضي ، فيباشرون شئونها وشئون الطلبة المقيمين بها ويستغلون أوقافها . فباشرها بعفة وأمانة وصرامة ، واتصل بإبراهيم باشا ابن محمد علي فعرف فضله وأجله وائتنس بمجالسته ، وجعله معلماً للعربية لأولاده : أحمد ، ومصطفى ، وإسماعيل . وكان يرسل له عجلته[1] تنتظره عند الأزهر ، فإذا أنهى الشيخ دروسه به ركب فيها وذهب إلى القصر العالي ، فدرس للأمراء وتغدى مع والدهم وجالسه في غالب الأحيان ، ثم يعود بالعجلة إلى مقره .

وحسنت حاله ، واشترى داراً كانت ملاصقة للمسجد الحسيني ، وأزيلت بعد ذلك لما جددت عمارته ، وكانت فيه حدة قل من يتحملها ، لذلك لم يحضر عليه من شيوخ الأزهر إلا قليلون ، منهم : الشيخ إبراهيم السقاء ، والشيخ مخلوف المنياوي وآخرون .

---

(١) عربته .

وكان عالما علامة متينا فى مباحثه ، ذا ذكاء مفرط . وكان الشيخ إبراهيم السقاء يأسف لأن أحداً من أهل الأزهر لا يعلم أستاذه هذا كما ينبغى .

وطلب منه الشيخ مخلوف مرة أن يقرأ لهم « المطوّل » فأبى وتعلل بعدم وجود الأكفاء لحضوره ، فكتب الشيخ مخلوف شكوى طاف بها على الطلبة فوقعوا عليها ، ثم بعث بها إلى الديوان الخديوى ، وفيها أنه لايوجد بين علماء الأزهر من هو أقدر منه على قراءة « المطول » ، ولكنه لايريد قراءته . فطلبوا الشيخ فى الديوان وألزموه أن يقرأ الكتاب ، فصدع بالأمر وقرأ منه دروساً ، ثم حال نفيه من مصر دون إتمامه .

وسبب نفيه أن عباساً الأول كان قبل توليته يحضر مجلس عمه إبراهيم والشيخ معه . وكان عمه يؤنبه على لعبه بالحمام ولهوه ويشتد عليه ، فيساعده التميمى ، ويسمع عباساً الكلام القارص ، حتى كان يخاطبه بالتصغير ، ويقول له : ياغلام اسمع نصائح عمك . فحقد عليه عباس ، ولما مات عمه إبراهيم وتولى هو بعده ، خشى المترجم العاقبة ، وذهب إلى عباس فى قصره لترضيته وإزالة مافى نفسه منه ، فقال له عباس : ليس عليك بأسٌ ، ولكن لاتسا كننى فى بلد أنا فيه . وأمر بنفيه فى الحال ، وأرسل من أعوانه من حمل متاعه ، وتولى ترحيله إلى الحجاز .

ولم تطل إقامة الشيخ بالحجاز ، إذ سافر مع المحمل الشامى فى عودته للشام ، وأبحر من بيروت إلى القسطنطينية ، وذلك بمساعدة بعض الأمراء المنفيين معه ، كما سعوا له عند السلطان عبد الحميد ، فرتب له حوالى خمسين ديناراً فى الشهر ، وأقام بها يقرىء ويفيد حتى وافاه أجله ودفن بها حوالى سنة ١٢٨٦ هـ .

وحدث الشيخ زين المرصفى قال : لما وفدت على القسطنطينية لم يكن لى هم إلا رؤية الشيخ ، فسألت عن داره حتى اهتديت إليها ، وطلبت مقابلته فأبى ، ثم احتلت لمقابلته بأنى قادم من مصر ومعى أمانة له ، فنزل وقابلنى ، وأخذ يسألنى عن الأزهر وأحواله ومن يدرس فيه ، فذكرت له بعض كبار المشايخ مثل : السقاء ، والدمنهورى ، والأشمونى ، وأضرابهم ... فأظهر الاستنكار والأسف ، وصار يصفق بيديه ويقول : « خلا لك الجو فبيضى واصفرى » ويكررها — ثم سألنى عن الأمانة التى حملتها إليه ، فلما أجبت بأنها تحيات زملائه وتلاميذه ، قام وتركنى .

واجتمع به أيضاً السيد جمال الدين الأفغانى فى زيارته الأولى للقسطنطينية ، وكتب يصف هذه المقابلة ، قال : فلما قابلنى قال لى : أنت جمال فى الدين أم جمال للدين ؟ فقلت : جمال للدين ، لأن الإضافة بمعنى (فى) لاتخلو من ركاكة هنا . فضحك .

وكان ربعة بديناً ، أبيض اللحية ، يلبس جبة ، وعليها برنس على طريقة المغاربة ، ولم يلبس الفرجية التى كان يلبسها علماء الأزهر ، وعمر طويلا .

وحدث عبد الله فكرى باشا قال : ذهبت مع الخديو إسماعيل مرة إلى القسطنطينية ، مدة السلطان عبد العزيز ، وجاء المترجم للسلام على الخديو . وكان يتأهب لمقابلة السلطان ، فلم يمكث معه إلا قليلا معتذراً بأنه لا يستطيع التخلف عن مقابلة السلطان فى الموعد المحدد . وسأله البقاء حتى يعود ، وأوصى بإكرامه ، ولكن المترجم لم يقبل عذره ، وانصرف غاضباً ولم يعد .

ولما ذهب إسماعيل بعد توليته إلى الآستانة لم يزره الشيخ ، فصار يسأل عنه إلى أن اهتدى إلى مقره ، وأرسل فى طلبه ، ثم أمر أحمد طلعت (باشا) كاتبه أن يعطيه مائة دينار عند خروجه من مقابلته ، ولكن الشيخ أبى أخذها . وقال : أنا والحمد لله فى غنى عن الصلة ، ولم أزر الخديو التماساً لشىء .

وكان مولعاً بجمع الكتب ، مغالياً فى اقتناء النفيس منها . فلما مات بيعت بالقسطنطينية ، وتفرقت فى البلاد ، ولم يعقب غير بنت واحدة حضرت لمصر بعد موته تتقاضى ثمن داره التى أزيلت وأدخل بعضها فى المسجد الحسينى عند عمارته ، وتزوجت بعد ما شاخت ، لأن أباها لم يكن يرى لها كفؤاً — فى زعمه — رحمهما الله .

أحمد الحلوانى

١٢٢٨ — ١٣٠٧ هـ

ولد العلامة الأستاذ الشيخ أحمد الحلوانى فى دمشق سنة ١٢٢٨ هـ وتربى تربية دينية برعاية والده التقى الصالح المرحوم السيد محمد على الرفاعى الحلوانى . وكان أول أستاذ له المرحوم الشيخ راضى المصرى ، الذى أتم عليه حفظ القرآن الكريم ، ثم درس العلوم العقلية والنقلية على أساتذة عصره ، مثل خاتمة المحدثين المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ، وشافعى زمانه المرحوم الشيخ عبد الرحمن الطيبى ، وأبى حنيفة وقته المرحوم الشيخ سعيد الحلبى ، ومفسر الديار الشامية المرحوم الشيخ حامد العطار . ومازال يتلقى عنهم العلوم والفنون حتى أذنوا له فى التدريس فى غرة شوال سنة ١٢٥٣ هـ وبعد ذلك رحل حاجاً إلى بيت الله الحرام مع الوفد الشامى ، ولما وصل إلى مكة المكرمة ، اجتمع فيها بخاتمة المحققين شيخ قراء مصر العلامة الشيخ أحمد المرزوقى المجاور لبيت الله الحرام ، فاستبقاه فيها بعد أداء الحج لما رأى فيه من المقدرة والتضلع فى العلوم وعدم التعلق بأعمال الدنيا ، وخلوه من الأهل والولد . وأمره بحفظ « الشاطبية » فحفظها ، وقرأ عليه القرآن كله بالتجويد على رواية حفص ، مع مطالعة شروح الشاطبية . وبعد ذلك شرع فى دراسة القراءات السبع . ثم قرأ القرآن كله بها على الشيخ المرزوقى ، فأقام له عقبة ذلك حفلة تكريم تجاه باب الكعبة المشرفة ، حضرها الأشراف والعلماء والقراء وغيرهم ، وبعد ذلك حفظ

عليه « الدرة » فى القراءات الثلاث المتممة للعشر ، كما قرأ عليه شرحها ، والقراءات العشر على طريق الشاطبية والدرة . فلما أتمها أقام له حفلة تكريم أخرى ، ثم أمره بحفظ الطيبة ، وقراءة شرحها ومطالعة التحاريرِ المتعلقة بها ، فلما أتم ذلك أقرأه القرآن كله كاملا بطريقة « الطيبة » . ثم جمع أفاضل مكة المكرمة وأجازه أمامهم بأن يقرأ ويقرىء فى أى مكان حل بما لقنه إياه ، مما أخذه عن شيخ الإقراء وملاذ القراء فى مصر المرحوم السيد أحمد المحملجى الهندى ، فأسكنه داره ، متكفلا له بما يلزم له من كتب وملبس ومشرب ومأكل وغير ذلك .

ولما انتهت دراسته سنة ١٢٥٨ هـ استأذن أستاذه فى الرجوع إلى دمشق ، وكانت خالية من علوم القراءات ، فنشرها فيها ، وحفظ عليه القرآن العظيم عدد كثير . وممن تلقى عليه القراءات السبع المرحوم الشيخ عبد الله الحوى ، والمرحوم الشيخ صالح الكردى . وقد كرمهما عقب ذلك أمام جمع من أفاضل دمشق ، وكان ذلك مستهل سنة ١٢٦٢ هـ .

ومازال مثابرًا على نشر فن القراءات وتجويد القرآن العظيم إلى غاية شهر شوال سنة ١٢٦٣ هـ وفيها رجع مع موكب الحج الشامى إلى مكة المكرمة ، ولما بلغها نعى إليه شيخه المرحوم السيد أحمد المرزوقى ، فجلس مكانه متصدياً لنشر القراءات فى البلاد الحجازية ، وتخرج عليه عدد عظيم من أبنائها وأبناء البلاد الإسلامية المختلفة . وفى سنة ١٢٧٨ هـ رجع إلى دمشق مع المحمل الشامى وجمع عليه القراءات السبع والعشر كثيرون من أهل الشام وغيرهم . وفى مقدمة تلاميذه فى القراءات العشر من الدمشقيين : الشيخ أحمد دهمان ، والشيخ

محمد القطب، ونجله الشيخ محمد سليم الحلوانى ، والشيخ محمد المجذوب ، والشيخ محمد سبانو ، والشيخ عبد الغنى البيطار . ومن أهـل حماه : الشيخ محمود الـكيزاوى وتلاميذه ، ومن تلاميذه فى القراءات السبع : الشيخ نجيب كيوان ، والشيخ راغب الحموى ، والشيخ صالح الديرانى .

أما مؤلفاته فمنها : أرجوزة فى رواية ورش من طريق الأزرق مع شرح لها ، وأرجوزة فى علم التجويد مع شرح لها أيضاً .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى فى ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ ودفن فى تربة (مرج) الدحداح بدمشق . رحمه الله وأكرم مثواه .

محمود الحمزاوى

١٢٣٦ — ١٣٠٥ هـ

وقفت له على ترجمة كتبها السيد محمد أبو الخير عابدين الذى كان مفتيا للشام ، قال فيها :

هو الإمام العالم العلامة الشهير ، والناقد الخبير البصير ، الحنفى المذهب ، تولى إفتاء الشام اثنتين وعشرين سنة وأشهراً حتى وفاته . وكانت الأسئلة المشكلة فى جميع الفنون ترد إليه من بلاد كثيرة ، منها البلاد الأوربية ، فيجيب عنها بالأجوبة المرضية . وكان رحمه الله عالماً نحريراً ، فقيها أديبا ، شاعراً مفنناً ، له مؤلفات عديدة منها : التفسير بحروف المهمل المسمى بدر الأسرار ، ونظم « الجامع الصغير » للإمام محمد صاحب أبى حنيفة . ونظم « مرقاة الأصول » لملاخسرو ، و « اللآلى البهية فى الفوائد والقواعد الفقهية » و « الطريقة الواضحة فى البينة الراجحة » . و « بغية الطالب شرح رسالة الصديق لعلى بن أبى طالب » رضى الله تعالى عنهما ، و « قواعد الأوقاف » ، و « كشف الستور فى المهاياة فى المأجور » ، و « منظوم غريب الفتاوى » ، و « الفتاوى الحمزاوية » ، وشرح لبديعية والده اسمه « كشف القناع » ، و « دليل الكمل إلى المهمل فى اللغة » ، و « التفاوض فى المتناقض » ، و « كشف المجانة عن الغسل فى الإجانة » ، و « رسالة فى جواز أخذ الأجرة على التلاوة » .

وقد ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم فى ثبته المسمى « عنوان الأسانيد » .
ومنهم : الشيخ عبد الرحمن الكزبرى الثانى ، وشيخ الحنفية بدمشق الشيخ سعيد الحلبى ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عمر الآمدى عن السيد محمد الزبيدى شارح « الإحياء » و « القاموس » .

وكانت ولادته رحمه الله بدمشق سنة ١٢٣٦ هـ وتوفى فى اليوم الحادى عشر من المحرم سنة ١٣٠٥ هـ . ودفن بتربة مرج الدحداح بدمشق .

وقد رأيت سلسلة نسبه بخط السيد أبى الخير محمد عابدين، وفيها : أن والده السيد محمد نسيب نقيب الأشراف بدمشق ، ابن حسين بن يحى نقيب الأشراف بدمشق ، ابن حسن نقيب الأشراف بدمشق (المولود سنة ١٠٩١هـ كما وجد بخط السيد مرتضى الزبيدى) ، ابن عبد الكريم نقيب الأشراف بدمشق (ترجمة المحبى والمرادى والغزى العامرى) ابن محمد نقيب الأشراف بدمشق ، ابن كمال الدين محمد نقيب الأشراف بدمشق ، ابن حسين نقيب الأشراف بدمشق (الملقب بشرف الدين أو بدر الدين المولود سنة ٩٢٦ هـ والمتوفى فى ذى القعدة سنة ٩٧١ هـ) ابن الحافظ كمال الدين محمد مفتى مصر ونقيب الطالبيين بدمشق (المولود سنة ٨٥٠ هـ وقدم القاهرة سنة ٨٧١ هـ) ابن عز الدين حمزه المعروف بابن أبى هاشم (ولد سنة ٨٢٠ هـ وتوفى سنة ٨٧٤هـ ـ كما وجد بخط السيد مرتضى الزبيدى) ابن أحمد الشهاب أبى العباس (المولود سنة ٧٨٧ هـ والمتوفى سنة ٨٤٨ هـ) ، ابن علاء الدين على نقيب الأشراف بدمشق (المكنى بأبى هاشم) ، ابن الحافظ شمس الدين أبى المحاسن محمد (المتوفى سنة ٧٦٥ هـ) ابن على بن حسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن على

الشجاع ابن حسين المحترف ابن إسماعيل (وهو أول من جاء دمشق نقيباً للأشراف سنة ٣٣٠ هـ وترجم له ابن عساكر فى تاريخه) ، ابن حسين المنتوف (وبخط السيد مرتضى الزبيدى : المفتون). ابن أحمد صاحب الشام ، ابن إسماعيل الثانى ، ابن محمد بن الإمام إسماعيل الأعرج ، ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ، ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب .

هذا وقد قرظ المغفور له الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى تفسير العالم السيد محمود يا الحمزاوى مفتى الشام بأبيات — فقال :

سرّح سوادك والطروس سماء ما للسماك لدى العروس علاء
حمداً لمهم أوحد العلماء محـــمود علوماً ما لهـــا إحصاء
هو أعلم العلماء واحد عصره هو طود سر هدى له إهداء

وأرسل سمو الأمير عبد القادر الجزائرى أبياتاً مع هدية قال :

تفضل بالقبول لهـــا فإنى أرى الدنيا جميعاً دون قدرك
لأنك بضعة المختار صرفاً ففخر الخلق طرّا دون فخرك

أحمد عبد الغنى عابدين

١٢٣٨ — ١٣٠٧ هـ

هو العلامة أحمد عبد الغنى عمر المشهور كأسلافه بعابدين . وبقية نسبه فى ترجمة العلامة محمد علاء الدين عابدين — وقفت له على ترجمة كتبها ولده مفتى الشام الشيخ محمد أبو الخير عابدين نصها :

هو العلامة الفقيه الصوفى الزاهد العابد المحدث أحمد بن عبد الغنى عابدين ، كان رحمه الله تعالى حنفى المذهب ، مشتغلا بالعلم ، يقرأ الدرس للطلبة فى داره ، وأحياناً فى جامع الورد . قرأ النحو والصرف والمنطق والمعانى والبيان مع ابن عمه السيد علاء الدين عابدين ، وأخذ الفقه والحديث عن عمه السيد محمد أمين عابدين ، وعن فقيه الشام وعالمها الشيخ هاشم التاجى ، وأجازه الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ، وسمع هو وابن عمه الكتب الستة من شيخ الشيوخ الشيخ سعيد الحلبى وكانا صغيرين ، وكان يحضرهما ويقعدهما فى شباك حجرته ، وحصل لهما إجازة كسائر الحاضرين . وأخذ التوحيد والتفسير عن الملا أبى بكر الكلالى المفسر عن شيخه الشيخ محمد الخطى . وله إجازات عديدة من علماء عاملين وأئمة معتبرين منهم : الشيخ داود بن سليمان البغدادى ، والشيخ عمر الآمدى عن الشيخ محمد الكزبرى . وكان يسلك فى الطريقة النقشبندية ، أخذها عن الشيخ محمد الخانى . ثم فى الطريقة الخلوتية عن القطب الربانى الشيخ محمد المهدى المغربى الزواوى .

وله مؤلفات تنيف على العشرين منها : كتاب فى الطهارة والأنجاس ، وشرح قصة المولد الشريف لابن حجر المكى فى عشرين كراساً . وشرح علم الحال ، وشرح العقيدة الإسلامية ومتنها للسيد محمود الحمزاوى ، ورسالة بتبرئة الشيخ الأكبر مما نسب إليه من القول بالحلول والاتحاد ، ورسالة فى إهداء ثواب الأعمال للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رداً على من قال : إن النبى صلى الله تعالى عليه منته فى درجات الكمال فلا يقبل الزيادة ، ورسالة فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب رضى الله عنها ، وشرح حديث ابن عباس : « احفظ الله يحفظك » الحديث ، ورسالة فى قوله عليه الصلاة السلام : « السعيد سعيد فى بطن أمه » . ورسالة فى « الكبائر » . ونسبه الشريف متصل بالسيد السبط عليه الرضوان . وكانت ولادته سنة ١٢٣٨ هـ ووفاته فى ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٠٧ هـ ودفن فى تربة باب الصغير بدمشق فى جوار عمه السيد محمد وجده السيد عمر عابدين . رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وأعاد علينا من بركاتهم ، آمين .

محمد علاء الدين عابدين

١٢٤٤ — ١٣٠٦ هـ

وقفت له على ترجمة كتبها ابن عمه العلامة محمد أبو الخير عابدين ، الذى كان مفتياً للشام نصها :

هو الشيخ الإمام العالم ، الفقيه الصوفى ، الملازم لاتباع الشريعة الغراء المحمدية ، بسيرة حسنة وأخلاق رضية . أخذ الفقه عن شيخه الإمام فقيه وقته وأوانه ، وعالم الشام فى زمانه ، الشيخ هاشم التاجى رحمه الله . وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الرحمن الكزبرى ، والطريقة الخلوتية عن قطب الوقت الشيخ محمد المهدى الزواوى المغربى . وقد رباه وسلكه فى الطريقة وأدخله الخلوة ، واستخلفه ، وأجازه بتلقين الذكر وتربية المريدين وكتب له إجازة حافلة ، وأمره بالدخول فى سلك الموظفين فى الدولة العثمانية ، فتولى كثيراً من المناصب منها : قضاء طرابلس الشام ، وسافر إلى إستانبول ، ودخل فى عداد أعضاء المجلة العلمية ، وأكمل حاشية والده . وله من المؤلفات : كتاب « معراج النجاح شرح نور الإيضاح » ، و « الهداية العلائية » ورسالة فى « زلة القارى » .

وأخذ عن والده وحصل منه على إجازه بخطه ، وله غير ذلك تحريرات رائقة ، وأبحاث فائقة ، فى جملة من علوم الفقه والحديث والأصول ، والتوحيد

والتفسير . وبالجملة كان رحمه الله تعالى من الأفراد الذين يعول عليهم فى حل المشكلات .

وسمع هو وسيدى الوالد — السيد أحمد — الكتب الستة من شيخ الشيوخ الشيخ سعيد الحلبى . وكانا صغيرين ، فكان يحضرهما ويقعدهما فى نافذة حجرته فى جامع بنى أمية ، وحصلا على إجازة منه .

ونسبه الشريف يجتمع مع نسب السيد الحمزاوى . وكانت ولادته فى ربيع الثانى سنة ١٢٤٤ هـ كما رأيته بخط والده على ظهر نسختة « الدر المختار » فى شرح تنوير الأبصار . قال : وسميته باسم الشارح رجاء أن يكون من العلماء . وقد حقق الله رجاءه ، وتوفى رحمه الله فى اليوم الحادى عشر من شوال سنة ١٣٠٦ هـ ورثاه جماعة كثيرون ، وأرخ وفاته الشيخ محمد الهلالى الحموى الشاعر المشهور بأبيات كتبت على لوح قبره وهى :

تـوارى من الدين الحنيف هـلاؤه
بلحد سقاه العفـو صـوب غمامـه
إلى دار خـلد ، من بنى عابدين قـد
مضى كوكب الإسـلام ، بدر تمامـه
بنى الشرف المـأثور علماً ومحتـداً
إلى سرّ ملك الله أصـل نظامه
أناس عـلى الإيمان منهم مـؤرخاً
زها لعـلاء الدين طيب ختامـه

وكتب على اللوح الآخر :

زر ضريح الحسبر الهمام عـلاء الـ
ـدين ، تظفر (به) بنيـل مرام
فهـو من بيت أشرف الرسـل طـه
فعليـه والآل أزكى السـلام
قـد قضى نحبـه ، فحـل بأبهى
روضـة ، فى جـوار قـوم كرام
قَـدّس الله روحـه ، وحباه
من جنان الفردوس أعـلى مقـام
قـد دُعى للقـا فلبى مجيباً
أرخـوا يا فـوزى بحسن الختـام
١٣٠٦

ودفن بمقبرة باب الصغير — ملاصقاً لقبر والده وجده السيد عمر ، ولقبر الشيخ العلائى صاحب «الدر المختار». رحم الله الجميع ونفعنا بهم والمسلمين آمين . انتهى مانقلته من خط العلامة أبى الخير عابدين .

قلت : وقوله « ونسبه الشريف يجتمع مع نسب السيد الحمزاوى » يريد السيد محمود مفتى الشام المعروف بمحمود حمزه الحمزاوى ، فإن نسبه يجتمع بنسب المترجم فى « إسماعيل » أول من جاء « دمشق » من أجدادها ، وولى بها نقابة الأشراف سنة ٣٣٠ هـ . وترجمه « ابن عساكر » فى تاريخه . وقد ذكرنا

نسب العلامة محمود حمزة فى ترجمته ، ونذكر هنا نسب المترجم منقولا من خط العلامة أبى الخير عابدين ، قال :

هو محمد علاء الدين ، بن محمد آمين عابدين صاحب الحاشية على الدر المختار ، ابن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم بن صلاح الدين — وهو أول من اشتهر بعابدين — بن نجم الدين بن محمد كمال بن تقى الدين (المدرس فى بلد الله الأمين) ابن مصطفى بن حسين بن رحمة الله بن أحمد بن على بن أحمد بن محمود بن عبد الله عز الدين بن قاسم بن حسن بن إسماعيل (أول من جاء دمشق منهم وولى نقابة الأشراف سنة ٣٣٠ هـ ، وترجمه ابن عساكر فى تاريخه) بن حسين المنتوف (والذى بخط السيد مرتضى الزبيدى : المفتون) بن أحمد صاحب الشام ، بن إسماعيل الثانى بن محمد بن الإمام إسماعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق ، بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنهم .

أحمد الفحماوى

١٢٤٦ — ١٣٠٩ هـ

هو الشيخ أحمد الفحماوى[١] ابن الحاج إسماعيل ابن الحاج قاسم ابن إسماعيل بن عامر بن منصور ، ومنصور هذا من قبيلة المحاميد — نسبة إلى محمود القرشى .

ولد صاحب الترجمة بأم الفحم بمركز جنين بمديرية نابلس بولاية بيروت ببر الشام . وأم الفحم قريبة من بيت لحم مسقط رأس سيدنا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولذا قال صاحب الترجمة تحدثا بنعم الله : « بلدنا بنى فى وسط الحول المذكور فى قوله تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . . . » فبلدتنا فى وسط البركة. فلله الحمد والشكر » . ولد رحمه الله فى سنة ١٢٤٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٣٠ ميلادية . وتوفى إلى رحمة الله بمصر المحروسة فى سنة ١٣٠٩ هـ الموافقة لسنة ١٨٩٢ م . ودفن بحوش الترجمان أمام حوش المرحوم الشيخ الحداد ، بتربة الشيخ حسن الشبراخيتى شارح الأربعين حديثا النووية ، معه فى لحد واحد ، وذلك بقرافة المجاورين .

وخلف من الذكور محمد ماجد أفندى الأجزاجى بشارع شبرا ومحمد عارف

---

(١) هذه الترجمة بقلم محمد عارف الفحماوى نجله بناء على طلب المرحوم أحمد تيمور باشا .

أفندى معلم العلوم الرياضية والعمارة بمدرسة المهندسخانة سابقاً ومن وكلاء النائب العمومى لاحقا .

أرسله أبوه للجامع الأزهر لطلب العلم ، وكان عمره إذ ذاك نحو خمسة وعشرين سنة ، فبعد سنتين أو ثلاث تزوج بالست أليفة بنت السيد أحمد العبساوى الجواهرجى الحسينى ، فخلف منها ولديه المذكورين آنفا ، ثم توفى أبوه إلى رحمة الله ، فسافر لبلدة أم الفحم لحضور العزاء ، ثم عاد وأقام بمصر حتى قضى نحبه . وكان أبوه ينفق عليه ، فلما توفى سعى على معايشه ، بتعاطى صنعة نسخ كتب العلم بحبر مطبعة الحجر لصاحبها كاستلى ، أشهر مطبعة وقتها بعد مطبعة بولاق الأميرية .

فطبع بخطه مجموع المتون وكتب التصوف لسيدى عبد الوهاب الشعرانى وديوان سيدى عمر بن الفارض ، والشفا للقاضى عياض ، وأخيراً اللزوميات لأبى العلاء المعرى . وكتبها كذلك بالحبر العادة لكثير من الذوات ، وكتب كثيراً من المصاحف والربعات ودلائل الخيرات .

وتوظف بوزارة المعارف المصرية بقلم الترجمة ، ثم انتقل إلى الدائرة السنية أميناً لكتبخانتها .

وكان رحمه الله نجيبا أديباً ، نادرة زمانه ، يحفظ كثيراً من قصائد الأدب ، وكثيراً من الحكم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية والقدسية . وكان صالحاً تقياً عالماً عاملا مخلصاً صادقاً أميناً كريماً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة .

وكان رحمه الله نصوحاً لأولاده وأحبابه . أحفظ له ثلاث نصائح لى —

أحدها وأنا تلميذ حديث البلوغ ، وهى أنه أوصانى بالاستبراء عقب الحدث « البول» ، وأخبرنى بأن المبنى على الفاسد فاسد ، والمبنى على الصحيح صحيح ، وأن هذا أساس العبادات . والثانية وأنا معلم بمدرسة المهندسخانة ، وهى أنه أخبرنى أن الناس فى غفلة عن الله سبحانه ، وأن اللازم أن العبد يتوجه بوجهه وقلبه دائماً إلى الله تعالى . وأوصانى بقوله : الزم يا بنى هذا الدعاء : (اللهم لاتحول قلبى ولاوجهى إلا إليك، ومثل ذلك لأصحاب الحقوق علىّ وللمسلمين) .

والثالثة : ذكر الحديث : بين العبد وربه سبع عقبات أهونها الموت وأصعبها الوقوف بين يدى الله عز وجل إذا تعلق المظلومون بالظالمين ، يقول هذا أخذ مالى وظلمنى وهذا هتك عرضى وفضحنى . وأخبرنى بأن المنجى من كل ذلك المواظبة على الصلوات الخمس ، وأن الإنسان بعد السلام من كل فرض يقول : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ، وأتوب إليه ثلاثاً . أستغفر الله العظيم لى ولوالدى ولأصحاب الحقوق علىّ ولجميع المؤمنين المؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات خمساً . وذلك قبل أن يغير جلسة التشهد من كل فرض .

ولما تزوج ولداه محمد ماجد أفندى ومحمد عارف أفندى ، وكانت الست والدتهما مطلقة خارج منزله ، وكان على ذمته غيرها ، عزما على أن تكون أمهما معهما بالمنزل ، فكتبا له عريضة بطلبهما هذا ، حياء منه أن يطلبا إليه ذلك شفهيا .

وهذه صورة العريضة :

عريضة مقدمة بين يدى حضرة والدنا للنظر فى إصلاح أحوالنا الدنيوية والأخروية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحليم الحكيم العادل ، والصلاة السلام على رسوله خير الأواخر والأوائل ، وعلى آله وصحبه أولى الفضائل والشمائل . أما بعد . فإن المنة لله ولرسوله وللوالدين ، حفظهما البارى تعالى ورفعهما فى الدارين . فنعرض يا أبانا على شريف مسامع جنابك ، أنه من مننك على أولادك ، أنك أحسنت مثوانا ، وسعيت لنا فى صنعتين شرفتنا بهما ، جعل الله يدنا العليا بالعطاء ، ولم يجعل يدنا السفلى بالاستعطاء . لما ألهمك ربك وأنت مسافر باسلامبول ، حديث: كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول . ودوام السعى لنا بكل الهمة ، على ما فيه صلاحنا ، فلك المنة . واتخاذك إيانا كأخويك ، مع الشفقة بنا ولين جنبيك . وتحريضنا على صلة الأم والأرحام ، وقولك لنا إن أمنعكما عنهم حرام ، وتعليمك إيانا أمور ديننا ، وحثنا على الزواج حفظاً لسيرنا ، وغير ذلك من مننك التى لا تحصى ، وإرشاداتك المخلصة التى لا تستقصى . فحق علينا أن نقول، موقنين من الله القبول : سبحانك لانحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك . حيث من الله علينا بوالد بار ، شفوق صالح صبار . وحق لنا أن نقول ، وعلى الله بلوغ المأمول :

حيث أن متوسط مكاسب ولديك شهرياً مدة السبع سنوات نحو

الخمسة عشر جنيها تنصرف مع مكسبك الشهرى تقريبا فى المنزل مع وجود الدَّين ، ولم يصل للست أمنا من مكاسبنا إلا جنيهان شهرياً ، فلما من الله علينا بالزواج ألهمنا سبحانه أننا قادمون فضلا عما سبق على ما هو أصعب . فإنه إذا كان الأمر الأول هو فى حالة خلونا من الزواج ، فما يكون شأن الأمر الثانى ووجود الأزواج . وفى الأول والثانى تكون أمنا محرومة منا . وقد من الله علينا بحل هذه المسألة هكذا :

أولا : ألا نصرف زيادة عن حدنا .

ثانياً : ألا نأخذ شيئاً بالدَّين .

ثالثاً : أن تبقى الست والدتنا فى منزلنا .

وفى ذلك يا أبانا مزايا دنيوية وأخروية .

أما الدنيوية فإنها توفر علينا اثنين جنيه ، وهدوء سرنا من جهة الست أمنا ، واحتياجاتها الشرعية .

وأما الأخروية فإنها الحصول على رضاء أمنا عنا ، كما تحصلنا بفضل الله على رضاء أبينا .

وقد تكلم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة ، فكان آخر كلامه : يارب أوصنى . قال : أوصيك بأمك حسناً ، وقد كررها تعالى سبع مرات . قال : حسبى . ثم قال : ياموسى ألا إن رضاها رضاى وسخطها سخطى . وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن مهران : لاتأتين أبواب

السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ، ولاتخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ، ولا تصحبن عاقا فإنه لن يقبلك وقد عق والديه .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن لى والدة أنفق عليها وهى تؤذينى بلسانها فكيف أصنع ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أد حقها ، فو الله لو قطعت من لحمك ما أديت ربع حقها ، أما علمت أن الجنة تحت أقدام والدتك . فسكت الرجل وقال : والله لا أقول لها شيئاً : ثم أتى الرجل إلى والدته وقبل أقدامها وقال : يا والدتى بذلك أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ماعُبدَ الله بشيء أفضل من جبر الخواطر . وقد سمعنا منك مراراً : البَرُّ بارّ بأهله . وقال عليه الصلاة والسلام : رحم الله امرأ أعان ولده على بره . ونرى أنه بعد الوصول إلى ذلك لاريب أن الله تبارك وتعالى يوصلنا إلى الخير . وفى الحديث القدسى : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت له اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . وقال صلى الله عليه وسلم : من أحب أن ينسأ له فى عمره ويبسط له فى رزقه فليصل رحمه .

وعَرْضنا مسألتنا هذه لحضرتك يا أبانا تحريريا هو لشدة الحياء منك ، ولتمكن حضرتك من التأمل والتفكر والتدبر والتروى فى هذه التجارة المنجية لنا جميعاً من النار . فأعنا يا أبانا فى الدنيا يعنك فى الآخرة .

والحاصل أن مطمح نظرنا معيشتنا فى الدنيا ممتعين بالحزم ، ووصولنا للفتوح ورضاء الوالدين ما استطعنا كما أمر الله ورسوله ، محاربين أنفسنا

والشيطان والدنيا والهوى . خالصة قلوبنا لله فإنا هُدنا إليه . الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ولا زلتم ملجأ لنا وللقاصدين ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . وعلمنا الكتاب والحكمة ، وزكنا إنك أنت العزيز الحكيم . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . آمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فأجاب صاحب الترجمة طلبهما ، فرحمه الله وإيانا رحمة واسعة .

حسين عودة

١٢٥٢ — ١٣٣٢ هـ

وقفت له على ترجمة بخط الأستاذ العالم السيد عيسى إسكندر المعلوف[١].

قال :

هو الدكتور حسين بن مصطفى أبى عودة ، ولد فى دمشق نحو سنة ١٢٥٢ هـ ودرس الطب على بعض معاصريه ، ثم أتمه فى مدرسة قصر العينى المصرية[٢] مدة ست سنوات من سنة ١٢٨٤ هـ حتى سنة ١٢٩٠ هـ . وكانت المدرسة فى هذا العهد تشتمل على نحو مائتى طالب من طبيب وصيدلى ، وطلبة الشام عشرة ، ورئيس المدرسة محمد على البقلى ، وأساتذتها : حسين بك عوف ، وسالم باشا سالم ، ويوسف بك جاستنيل ، وحسن بك عبد الرحمن ، ومصطفى أفندى أبو زيد ، وغيرهم من مشاهير الأطباء والعلماء . فلما نال المترجم شهادته الطبية عاد إلى صيدا نحو سنة ١٢٩١ هـ ، وكان يتردد بين صيدا ودمشق . ويبحث فى المكتبات عن الكتب الطبية القديمة ، فاقتنى بعضها وطالع معظمها ، واختار منها طرق العلاج القديمة بالعقاقير ، واعتمد عليها فى معالجاته .

---

(١) فى كتابه مفاوض الدرر فى أدباء القرن الثالث عشر والرابع عشر .
(٢) الآن كلية طب قصر العينى .

فكانت مزيته فى الطب أنه يقتصر على أبسط الأدوية النباتية مما يجمعه بيده منها ويستحضره بطرق خاصة ، ويحرص على المعيشة البسيطة ، والتغذية النباتية ، حتى اعتقد أنه بهذه الذرائع سيعيش أكثر من مائة وخمسين سنة ، وكان واثقاً باعتقاده . وطبب الفقراء مجاناً أو بقيمة زهيدة ، وتجافى عن تطبيب الأغنياء ولو أعطوه مالا كثيراً .

ومن مزاياه العامة أنه كان ينزع إلى القناعة والكفاف ، كريم الأخلاق ، محباً للخير ، موالياً لجميع الناس ، صبوراً لين الجانب ، حتى عد لذلك غريب الأطوار ، ينحو نحو الفلاسفة .

وصادق كثيراً من العلماء وعاشرهم أو راسلهم ، مثل المرحومين : أحمد فارس الشدياق ، وحسن حسنى باشا الطويرانى ، والشيخ طاهر الجزائرى .

وبينما كان يعتقد أنه سيعمر ، زلت قدمه وهو سائر فى مدينة صيدا فجرح ، ولم يلبث أن قضى نحبه فى ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هـ عن نحو الثمانين . وله أطوار غريبة فى طرق حياته ومعيشته ومعاشرته وأفكاره وطبائعه .

ومن آثار قلمه : فهرست للمادة الطبية سماه : « عمدة المحتاج فى علمى الأدوية والعلاج » وقد طبع فى مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٨ هـ (ربما ١٢٨٧ هـ) فيكون قد ألفه وهو تلميذ . وله تعليقات ومقتطفات من

كتب الطب فى وصف العلاجات النباتية والنباتات ، وترجمة لحسن باشا الطويرانى .

هـذا ما أمكن الوقوف عليـه من ترجمته بعد البحث الكثير ، والمراجعات الجمة . ومن مصائب العلماء والمؤلفين أنهم قلما يترجمون ، بل قلما يضبط زمن وفاتهم باليوم والشهر والسنة ، أو تاريخ ولادتهم . وأكبر خطأ يقع فى الصحف عدم الاعتناء بذلك .

محمد المبارك الحسني الجزائري

١٢٦٣ — ١٣٣٠ هـ

وقفت له على ترجمة بخط العلامة الشيخ طاهر ابن الشيخ صالح الجزائري السمعوني قال :

ولد رحمه الله تعالى في مدينة بيروت على رأس سنة ١٢٦٣ هـ ، كان والده السيد المبارك أول المهاجرين إليها من الجزائريين .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء خامس جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠ هـ وبقي حتى وفاته مجموع الحواس ، يؤانس أصحابه ، ويرسل خاف من لم يحضر ، وكان يودعهم واحداً بعد واحد ، وقد استحضر كلمة الشهادة ، ونطق بها ، مادا بمسبحته ومشيراً بها ، وذلك بحضور أصحابه .

وخرجت جنازته رحمه الله على هيئة السنة حسب وصيته ، كما أنه أوصى أن يدفن في الصالحية في سفح جبل قاسيون ، وينزل على والده . واشترك في تشييع جنازته كثير من الناس ، وصلى عليه في جامع الشيخ الأكبر بعد صلاة العصر ، ثم صعد بجنازته إلى الجبل ونزل على والده العارف بالله تعالى السيد المبارك المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ ، في المقبرة المسماه بالروضة ، بين ضريح سيدنا ذي الكفل عليه السلام وبين قبر جده لأمه الإمام الكبير الصوفي الشيخ محمد المهدي ، رحمه الله رحمة واسعة .

وقد كتب إليه الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى قدس الله سره ملغزا فى الهرم [أى الشيخوخة] :

أقول على صدق لأهل النهى طُرا
ولست بمستثن لئيماً ولا حُرّا
ألا خبرونى أين ضلت عقولكم
وكلكمُ يستهجن الشر والضرّا
ويغفل عنـــــه وهو منتبه له
ويطلب هذا الشر ، أعظم به شرّا
وحينئذ يقلوه كل مُـــــوَادِدٍ
ومن مس هذا الضر هيهات أن يبرا

فأجابه الشيخ محمد المبارك الجزائرى — بإشارة منه رضى الله عنه :

أيا جهبذا رقت معانى رموزه
ودقت فلم يدرك لها ذو الحجا سرّا
لقد ضل فكرى فى مهامه لغزكم
ولم يلف من يوليه من طيه لشرا
وما هو إلا كنز درّ معارف
له رصدٌ يحمى جواهره قسرا
فحاولت أن أجلو براقع وجهه
وأكشف عن معنى بلاغته السرّا

فخيّل لى أن الرياسة سره
وخلت — إذن — أنى أحطت بها خبرا
ولاريب أن الجاه أعظم مشتهى
على أنه شر وأعظم به شرّا
ومن بعد ذا أمعنت فكرى فلاح لى
هو الكبر المستلزم البأس والضرّا
وهذا لعمرى ليس يرقى سليمه
ولكن ينال الأجر إن أحرز الصبرا
فأسأل رب العرش يحفظ ذاتكم
بجاه ختام الرسل خير الورى طرا

وقد وقفت للشيخ محمد المبارك[1] الحسنى الجزائرى — على ترجمة أخرى بخط الأستاذ العالم السيد عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمى العربى بدمشق الشام، قال فيها :

هو الشيخ محمد بن الشيخ محمد المبارك المغربى الجزائرى الدلسى الحسنى المالكى الدمشقى . ولد فى بيروت سنة ١٢٦٣ هـ فى أثناء هجرتهم من المغرب، لأن أمه كانت حاملا به ، فنقل طفلا مع أسرته إلى دمشق ، فوصل إليها قبل دخول الأمير الجزائرى إليها ، فكان أول مهاجر مغربى وصل إلى دمشق فى القرن الماضى ومعه كثير من طلبته .

---

(١) ترجمه الشيخ البيطار ترجمة مختصرة لأنه كان حيا ، ولم يذكر وفاته ، فزدت على الترجمة ما فى كتاب «مفاوض الدرر» وما تلقيته من ولده صديقى الشيخ عبد القادر المبارك .

وقرأ على علماء دمشق ، كالشيخ الطنطاوى ، والشيخ الجزائرى ، واتصل بالأمير عبد القادر الجزائرى الحسنى وخصه بشعره فلم يمدح أحداً غيره به . وكان يقرىء مقامات الحريرى لأولاده . وحضر دروسه الأخرى السيد عبد الباقى الجزائرى الحسنى ابن أخى الأمير عبد القادر — وهو الذى تولى إفتاء المالكية فى دمشق ، والشيخ محمد الحكيم ، والأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق . وكانت مجالسه عامرة بالأدباء ، ومال إلى الأدب والتصوف ، وله حواش وتعاليق على ما قرأه من الكتب ، ولا سيما على تفسير ابن جرير الطبرى .

وكان يصرح أن مبدأه ليس تأليف الكتب ، ولكن تصحيح كتب السلف وضبطها . فلهذا لم يكلف بالتأليف كلفه بالضبط والتصحيح . فترى فى مكتبته كتباً كثيرة محشوة بالفوائد ، مثل « سيرة ابن هشام » و « نوادر الأصول » للترمذى الحكيم ، و « الذريعة إلى مكارم الشريعة » و « مقامات الزمخشرى » وكثيراً من كتب التصوف والأدب عليها تقارير ومقابلات . وجمع فى مكتبته مخطوطات نفيسة آلت من بعده إلى ولده الشيخ عبد القادر .

وله قصائد تملأ ديوانا مجموعاً بخطه ، ورسائل ست أشبه بالمقامات طبعت فى دمشق ، وهى :

١ — « غناء الهزار[1] ونضرة البهار ، فى محاورة الليل والنهار » .

---

(١) جاءت الفقرة (غناء الهزار) والتى تليها تاريخا بحساب الجمل لسنة إنشائها وهى سنة ١٢٩٥ — بحساب التاء المربوطة هاء . وقد نقل الشيخ البيطار فى ترجمته هذه المقامة برمتها (٣ : ٣٧٣) .

٢ — « أبهى مقامة ، فى المفاخرة بين الغربة والإقامة » ذكر فيها الأمير عبد القادر ورحلته إلى بعلبك ، وهو يرافقه .

٣ — « المقالة اللغزية ، والمقالة الأدبية » .

٤ — « بهجة الرائح والغادى ، فى أحاسن محاسن الوادى » ضمنها رحلته إلى غوطة دمشق .

٥ — « غريب الأنباء ، فى مناظرة الأرض والسماء » طبعت بدمشق سنة ١٣٠٢ هـ

* * *

ولقد نال رتبة (قاضى أزمير) ، وأقطعته الحكومة أرضاً فى « حوران » فلم يقبل القطيعة ، ولا حضر مجالس الرتبة الرسمية .

وكانت أخلاقه رضية ، وله إحسانات للمحاويج . وتوفى سنة ١٣٣٠ هـ .

ومن شعره قوله فى مدح الأمير عبد القادر الجزائرى من قصيدة رائعة :

قد أسفرت بين العذيب وحاجر
خودٌ سبت أهل الهوى بمحاجرِ
هيفاء طرتها غدت تحكى دجى
ليل ، وغرتها كصبح زاهرِ
يفترُّ جوهر ثغرها عن لؤلؤ
أجريت منه عقيق دمع هامرِ

إلى أن قال متخلصا لمدحه :

يصفو بطيب وصالها وقتى ، كما
يحلو المديح بذكر عبد القادر

مولى حكت أخلاقه فى لطفها
مسرى النسائم فى رياض أزاهر

بزغت به شمس المعارف بعدما
أفلت ، فأرشد كل لاهٍ حائر

وختمها مؤرخا سنة ١٢٩٥ هـ بقوله :

ما قال ممتدحاً مؤرخ شكره
هام الوجود بسر عبد القادر

محمد بدر الدين

١٢٦٧ — ١٣٤٤ هـ

هو العالم العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسنى، كان والده الشيخ يوسف ابن الشيخ بدر الدين من علماء الأزهر الشريف، وهاجر إلى الشام، وهو من ذرية سيدنا الحسن، وكان من أعظم علماء الأزهر فى عهد الشيخ إبراهيم السقا وقبله، ولما هاجر إلى الشام عمر « دار الحديث » بعد خرابها، وجلس للتدريس فيها، وله تآليف عديدة فى سائر العلوم. وكان معظماً عند علماء مصر والشام. ثم تزوج من بيت الكزبرى وولد له شيخنا الشيخ محمد بدر الدين. ولما أن صار عمر المترجم سبع سنوات، رأى والده النبي صلى الله عليه وسلم يطعمه تمرة، ثم رآه مرة ثانية يسقيه حليباً، وقال له: هذا الولدُ ينتفع به المسلمون.

ولما صار عمر المترجم عشر سنوات، انقطع لطلب العلم إلى أن صار عمره ثلاث عشرة سنة، ثم توفى والده فصار يقرأ عند الشيخ أبى الخطيب، وظل كذلك سنتين حفظ خلالهما ستة آلاف بيت من « متون » مختلفة فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف. وكان يحفظ كتب الحديث كتاباً بعد

كتاب مع الإسناد ، ثم صار يشرح ويؤلف . وأول شرح هو فى مصطلح الحديث ، طبع فى مصر . ثم جلس فى المسجد الأموى لتدريس سائر العلوم للخاصة والعامة ، ثم طاف فى بلاد مختلفة ، منها القاهرة والإسكندرية والحجاز والأقطار العربية الأخرى .

وكان يقرأ درسه فى الحديث من البخارى بالإسناد غيباً ، ويطبق عليه من سائر كتب الحديث مع الإسناد غيباً . ويطبق مأخذ المذاهب والأصوليين وعلماء التوحيد على الأحاديث ، ويبين من الأحاديث العلوم العقلية والنقلية ، حتى إن درسه العام فى المسجد الأموى كان يشتمل على علوم الطب والهندسة والجغرافية والحساب وغيرها من العلوم الرياضية . وكان يجلس لذلك الدرس بعد صلاة الجمعة من الظهر إلى العصر ، ويسرد الأحاديث من سائر كتب الحديث غيباً مع الإسناد ، ويسعى الناس من البلاد الإسلامية المختلفة لاستماع الحديث منه ، وأخذ الإجازة عنه . وقد أخذ هو الإجازة فى الحديث عن العلامة الكبير المرحوم مولانا الشيخ إبراهيم السقا رفيق والده فى الطلب ، وصار العلماء من سائر البلاد يرسلون إليه القصائد والمدائح ، ويصفونه بأنه المجدد ، وصاحب الوقت ، وقطب الزمان . وترجم له كثير منهم فى كتبهم ومؤلفاتهم ، ومنهم العالم الهندى الشيخ عاشق الاهى .

ولما بلغ العشرين زوجه ابنته العلامة الشهير شيخ الشام الشيخ محى الدين العانى الرفاعى ، وجاءه منها أولاد أكثرهم نساء ، وله ولد واحد اسمه الشيخ محمد تاج الدين ، صار من علماء دمشق الأعلام .

وقد عين فى عهد الحكومة العثمانية مفتياً للجيوش ، وفى عهد الأمير فيصل شيخاً للإسلام ، وعرف منذ حداثته بأنه يقوم الليل ويصوم النهار ، ولايفطر إلا أيام العيدين ، وجلوسه على الحصيرة ، ولباسه من ثياب القطن ، ولايذهب إلى الحكام .

وقد سمع درسه كثير من علماء مصر ، منهم الشيخ محمد بخيت ، والشيخ رضوان العدل ، والشيخ مصطفى الجندى ، وتخرج عليه فى « دار الحديث » كثير من علماء الشام ، آخرهم الشيخ محمد المبارك ، والشيخ أمين السويد ، والشيخ توفيق الأيوبى. واستمر حتى بلغ الخامسة والسبعين مواظباً على درسه الخاص يوم الثلاثاء ودرسه العام يوم الجمعة .

وحينما هاجر إلى الشام العلامة الكبير الشيخ الكتانى جلس فى درسه وأخذ منه الإجازة فى الحديث . كما طلب الإجازة منه كثير من علماء الآستانة ومصر والعراق والحجاز واليمن وغيرها من الأقطار الاسلامية .

وقد جمع مكتبة نفيسة من المخطوطات ، خصوصاً بعد ما احترق قسم من مكتبة والده النادرة .

وللأستاذ الهلالى قصيدة طويلة فى مدح الشيخ بدر الدين يقول فيها :

يا عالما جل قدره ومن حكى البحر صار بدره
الدين أعلى سماء وأنت لاشك بدره

رحم الله الشيخ وأكرم مثواه جزاء وفاقاً .

ترجمة أخـرى :

ووقفت له على ترجمة أخرى بخط السيد محمود بن رشيد العطار ، قال :

ولد الأستاذ العلامة الشيخ محمد بدر الدين بدمشق سنة ١٢٦٧ هـ ، وقد مدحته بقصيدة طويلة قلت فيها مؤرخاً مولده :

من قـد سما بين الأنام قـدره حافظ دين الله فهو بدره

من نشأة قـد طهرت أنفاسه مـولده تاريخه (أغراسه)

١٢٦٧

وولادته كانت بداره — قرب دار الحديث بالأشرفية — مقر المترجم ومقر أئمة الحديث من سبعمائة سنة من أبوين فاضلين تقيين ورعين : فوالدته السيدة عائشة من أسرة الكزبرى الدمشقية العريقة المشهورة بالعلم والفضل والحسب والنسب ، خصوصاً علم الحديث المنتهى رياسته إليها . وقد اعتنت بكفالته بعد وفاة والده أشد الاعتناء ، وسلمته لشيوخ العصر للتلقى عنهم . أما والده فهو العلامة الإمام الشهير الشيخ يوسف ابن العلامة السيد بدر الدين ابن السيد عبد الرحمن ابن السيد عبد الوهاب ابن السيد عبد الملك ابن السيد عبد الغنى المراكشى السبتى الحسنى المالكى . وقد ولد الشيخ يوسف فى محلة وراد العروس ، فى مراكش . وينتهى نسبه إلى الولى الكبير الشيخ عبد العزيز التباع أستاذ الولى الشيخ الجزولى صاحب دلائل الخيرات . والشيخ عبد العزيز ينتهى نسبه إلى سيدنا الحسن رضى الله عنه . وقدم دمشق بعد ماصار العلم الأوحد والأستاذ المفرد فى سائر العلوم العقلية والنقلية ، خصوصاً

علم الأدب فكان حامل لوائه بلا خلاف . وكان تحصيله العلوم بالجامع الأزهر ـ فأخذ عنه العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الإسلام الأسبق ، والعلامة الصاوى والشيخ الفضالى والأمير الصغير والسيد محمد الحسينى الشهير بفتح الله والشيخ حسن القويسنى وغيرهم من شيوخ العصر . واستجاز من الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبرى ، ومن رفقائه فى الدرس كالعلامتين الأشمونى والطهطاوى وأضرابهما. وله مصنفات كثيرة تشهد له بالتفرد وطول الباع فى سائر الفنون ، خصوصاً الأدب . فمنها شرحه على « مولد الدردير » فى مجلد سماه « فتح القدير » ونظم « درة الغواص » للحريرى وهى مفيدة جداً ، ومنظومته الشهيرة فى فن الرسم العربى ، وشرحها المسمى : كشف النقاب عن وجوه مخدرات الطلاب ، وهى فريدة فى بابها .

أما نظمه فكثير جداً يكاد لايحصى ، مع حسن صياغة وإبداع تفرد بهما فى عصره . وكان ينظم على البداهة ، ويكاتب أصدقاءه الكثيرين المتفرقين فى سائر الأقطار بالشعر ، ويجيز به أيضاً . وقد أجاز العالم الشريف السيد أحمد عابدين صاحب المكتبة الشهيرة بالمدينة المنورة بقصيدة عصماء ساق فيها شيوخه الكثيرين وعددهم . ثم رحل إلى الآستانة واتصل بالسلطان محمود بواسطة صديقه الحميم شيخ الإسلام عارف حكمت ، وبسط للسلطان قضية « دار الحديث » المشهورة مقر حفاظ الحديث وشيوخه وأئمة الدين من سبعمائة سنة إلى وقتنا هذا[1] ، مثل ابن الصلاح والنووى والذهبى والمدنى والسبكى وأولاده . فقام

---

(١) فى حياة المغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور باشا رحمه الله .

قومة الأسد الهصور ، وسل سيف الحق ، وهو حامل لواء الشريعة فى زمنه وحامى ذمارها ، حتى أيده الله باستخلاص القسم المغصوب من تلك المدرسة « دار الحديث » ، وأتم تعميرها ، وافتتحت باحتفال كبير حضره العلماء والأمراء ومنهم الأمير عبد القادر الجزائرى الحسنى صاحب اليد الطولى فى مساعدته لاسترداد المغتصب . وقد كان له العون الكبير بواسطة شيخ الإسلام عارف حكمت بنيل مبتغاه واختياره معلماً بعد ذلك لنجلى السلطان محمود « عبد المجيد وعبد العزيز » ، فعلمهما أصول العربية ، وقد أجازهما بعد تلقيهما منه . كما مدح العلامة الشيخ يوسف بدر والد صاحب الترجمة ، السلطان محمود ونجليه ، فى مقدمة منظومته ، وكذلك شيخ الإسلام عارف حكمت ، بقصائد كثيرة .

وقد ترجم له المؤرخان السيد مراد والسيد جميل الشطى ، فقال الأخير فى طبقاته بعد أن ساق نسبه كما ذكرناه آنفاً : « هو المصرى المولد ، المغربى الشهرة والمحتد ، نزيل دمشق ودفينها الشيخ الإمام العلامة الفقيه المحدث الكبير الأديب البارع الشاعر البليغ المتضلع المتفنن الهمام الأوحد والعلم المفرد . توطن دمشق بين سفر وإقامة . ولما عاد إلى دمشق الأمير عبد القادر الجزائرى الحسنى أحبه محبة عظيمة ، وقدره حق قدره ، فقد أخذ العلم فى مصر عن مشايخ كثيرين ، وقرأ القراءات وأتقنها ، وصنف المصنفات الكبيرة مع الدين المتين والورع والزهد . وأخذ عن الشيخ سعيد الحلبى والشيخ عبد الرحمن الكزبرى ، ودرس فى الجامع الأموى ، وحضر العلماء والأفاضل درسه فى مدرسة دار الحديث الشهيرة . وهى التى فتحها ودرس بها وأسكن بها الطلبة ، وكان ذلك سنة ١٢٧٠ هـ فصارت

له أثراً باقياً وخيراً جارياً . وقد نظم فيها قصيدته المشهورة « التحديث عن نازلة دار الحديث » وهى تزيد على أوبعمائة بيت ساق فيها القصة بتمامها . وحسب المطلع عليها أن يعلم ماله من القدم الراسخة فى العلم والأدب . وبالجملة — كان آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته ، قوالا بالحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم . كان مهيبا تفر العظماء من بين يديه مهابة له وإجلالاً . حتى إن السيد طاهر أفندى مفتى الشام المشهور كان يتوارى منه لأنه تراخى عن نصرته فى قضية « دار الحديث » . ثم سكن مدة طويلة بالمدينة المنورة ، وهناك نظم قصيدته التوسلية الشهيرة فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وأولها :

إليك رسول الله وجهت وجهتى لأنك باب الله فى أى محنة

وأنت ملاذ العارفين بأسرهم إذا ما استغاثوا ، سيما يوم حسرة

وهى قصيدة سارت بذكرها الركبان ، تقرأ عند اشتداد الكروب ونزول المصائب . ولقد أخبرنا أحد الثقات أنه كان إذا دخل من باب الجامع الأموى وأحس به بعض المدرسين قام مختفيا خشية الوقوف على درسه والتكلم معه !! كما أخبر بعض المعمرين أنه كان يأتى بعض ضواحى دمشق وقراها كقرية دوما وكفر سوسه فيدخل الجامع فيجتمع عليه الناس للوعظ والانتفاع بعلمه وفضله ، فيقرأ أولا عشر من القرآن الكريم بالقراءات العشر ، ثم يشرع بالوعظ بلا كتاب . وقد أخبرنا الشيخ عثمان الدرمانى الحنبلى الفقيه إمام مسجد درما أنه جلس مرة للوعظ مبتدئاً ببيت من البردة فشرحه بأنواع الفنون . ثم توقف هنيهة فأنشأ عدة أبيات من بحر البردة وقافيتها . كما نظم تاريخاً بديعاً منقوشاً على جدار درما الشهير .

وله مع الأمير عبد القادر الجزائرى الكبير واقعة مشهورة ، وهى أنه فى أثناء احتدام قضيته « دار الحديث » دخل على الأمير عبد القادر الجزائرى وهو يقرأ البخارى لتلامذته فقال موجها الخطاب للأمير : أصلى أربع تكبيرات على هذا الميت ، فكان هذا سبباً لقيام الأمير بنصرة الشيخ . وبالجملة كان مجدد عصره بلا خلاف ، وحامل لواء السنة بالاتفاق .

ورأيت بخط تلميذه الشيخ عبد السلام الشطى أنه توفى يوم الخميس ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٩ هـ فى دمشق ، ودفن فى تربة باب الصغير ، وقبره ظاهر يزار ويتبرك به .

وأعقب المترجم نجليه العلامة الشيخ محمد بدر الدين وأخاه المرحوم الشيخ أحمد بهاء الدين ، وكان الأخير من أهل العلم إماماً فى مدرسة دار الحديث ، ثم صار شيخا للتكية المجيدية يقيم بها الذكر والطريقة النقشبندية إلى أن توفى إلى رحمة الله ، وخلف ولداً دعاه يوسف ضياء الدين ، وهو فى كنف عمه يطلب العلم أسوة بأسلافه .

نشأة الأستاذ الأكبر الشيخ بدر الدين :

وقد نشأ الأستاذ الأكبر مولانا الشيخ بدر الدين فى حجر والده العلامة الشيخ يوسف المشار إليه آنفاً . وحفظ القرآن الكريم بمعونته وإرشاده ، وقرأ عليه مبادىء العلوم حفظاً وفهماً ، وحينما أشرف والده على الموت ، كان يقول له : تركتك لله يا بدر الدين . وكان لوالده شغف عظيم به ومحبة شديدة له ، وقد ذكره فى قصيدته التوسلية ، وكان غائباً عن دار الخلافة لأجل قضية « دار الحديث » قال :

وأما الذى قد أورث القلب حسرة

ففرقة من للعين أعظم قرة

محمدٌ ابنى من به امتن خالقى

علىّ عقيب الشيب إبان شيخة

ففارقته قهراً ولا كافلٌ له

سوى من قضى بالبعد عنه لحكمة

وقولى على من رام لى عنه فرقة

بمحض الأذى : الله حسبى بحرقة

وأهدى صلاتى الهاشمى محمدا

تُمتعنى قبل الممات برؤية

عليه صلاة الله ما حن غائب

وما اكتحلت عين برؤيا الأحبة

وبمناسبة « دار الحديث » ، تذكر حادثة أخرى لها وقعت خلال الحريق الهائل الذى شب فى دمشق والتهم سوق الحميدية الشهير ، فقد احترق قسم منها ، فبلغ الوالى ، عزت باشا العابد ، الذى اعتزم عمارتها على أحسن طراز بعد زيارته لها وتفقدها مع المرحوم السيد عبد الحميد الزهراوى ، وجدد العزيمة الصادقة على عمارتها ، وصرف مالاً كثيراً فى هذا السبيل ، وبالرغم من قيام بعض أحفاد الذين عارضوا تعميرها من قبل لصرف همته !! ولكن الله أبى إلا أن تعمر وتعود لما كانت عليه . وهى بحمد الله عامرة بأهل العلم والطلبة

من الصباح إلى المساء ، وهى المعهد الوحيد الذى تدرس فيه العلوم على اختلاف أنواعها ، وتقصد من أطراف الأرض فيزورها الجاوى والبخارى والهندى والصينى والأفغانى والمدنى والمصرى والداغستانى واليمنى والتترى . فهى تعج بالأجناس المختلفة .

وفى حقها قال « السبكى » :

وفى دار الحديث لطيف معنى أصلى فى جوانبها وآوى

لعلى أن أمس بحر وجهى مكانا مسه قدم النواوى

ويقال إن نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام بحائطها القبلى . والله أعلم .

ولما توفى والد المترجم — كان عمره اثنتى عشرة سنة ، فقعد فى غرفة والد بدار الحديث ، ولها اتصال بداره ، وصار يطالع الكتب التى تركها له والد بهمة عظيمة ، ويحفظ المتون فى أنواع الفنون بمحافظة غريبة .

وقد أخبرنى رجل مغربى صالح ثقة اسمه الحاج أحمد ، وكان مختصاً بخدمة بيت الشيخ ، أن المترجم لما جلس مكان والده فى الحجرة ، وصار يطالع الدرس بالليل ، كان والده يتجلى له ويرشده بروحانيته إلى ما استعصى عليه فهمه من المشكلات .

وقص على أمه مايرى ، فقالت له : إن أرواح الصالحين تحضر وتزور من تحب . وكانت من العابدات الصالحات ، قل مثلها فى زمنها ، ثم إنها أخذت الأستاذ وذهبت به إلى العلامة أبى الخير الخطيب فى دمشق ، وأوصته به خيراً ،

فعامله الشيخ المذكور معاملة ولده ، لما رأى عليه من سيماء النجابة والذكاء المفرط ، مع خلق كريم وورع عظيم . وشغله بحفظ المتون فى الفنون المختلفة ، فحفظ الألفية والشاطبية وألفية الحديث للعراقى وغيرها مما يقدر بستة آلاف بيت . ثم شفعها بقراءة شروحها بفهم وإتقان ، ولم يكمل الثامنة عشرة من عمره ، حتى نبغ نبوغاً باهراً ، خارقاً للعادة ، لفت إليه أنظار مشايخه ، فأجازوه إجازة عامة ، وأذنوا له فى التدريس والتأليف ، فشرح « غرامى صحيح فى مصطلح الحديث » ولما يكمل العشرين من عمره ، وطبع الشرح سنة ١٢٨٦ هـ ، ثم أقبل على المطالعة لنفسه بهمة شماء وعزيمة صحيحة ، لايفتر عن ذلك آناء الليل وأطراف النهار ، وحفظ من الأحاديث بأسانيدها ماشاء الله أن يحفظ . ويقال إنه يحفظ البخارى ومسلم بأسانيدهما ، ولا يغيب عنه حديث قط من الكتب الستة ، ومن رأى الأستاذ فى درسه العام وهو يسرد الأحاديث بأسانيدها ، ويتكلم عليها بأنواع العلوم — علم أن الله اختصه بقوة حافظة خارقة للعادة لم يسمع بمثلها . ثم صار يكتب على بعض المتون شروحاً . فشرح « الإظهار » شرحاً مفيداً جداً ، ومنظومة « موافقات سيدنا عمر » للسيوطى ، وشرح « البيقونية » ومتونا كثيرة فى الصرف . وكتب حاشية على « شرح المحلى على البردة » وحاشية على « الجلالين » فى أربعة مجلدات وكتب شرحاً على « مختصر ابن الحاجب » ، وقد رأيت ذلك كله بخطه . وله تقييدات كثيرة على أطراف الكتب ، ولعل له تآليف أخر لم أطلع عليها ، لأنه يريد ألا ينسب له شىء منها تواضعاً ، وقد محا اسمه عنها كلها هضماً لنفسه ، كل ذلك ولم يتجاوز

العشرين من عمره . ثم صار يقرأ للطلبة فى الجامع الأموى النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه وغيرها .

وقرأ درساً عاماً بين العشاءين ، وسمعت أنه كان يقرأ تفسير البيضاوى عن ظهر قلبه دون أن يحمل كراسا . وكان جهورى الصوت ، يجتمع عليه الخلق الكثير صفوفاً صفوفاً . فتعطلت دروس غيره من الشيوخ لشدة فصاحته ولإخلاصه الخالص .

ثم اعتزل فى حجرته بالمدرسة ، ولم يخرج منها مدة سبع سنوات ، حتى يقال إنه ما كان يرى أبداً ، ويصلى فيها حتى الجمعة لالتصاق حجرته بالمسجد من جهة الشرق . فأكب خلالها على المطالعة والحفظ ، مقبلا بكليته على علم الحديث حتى صار فيه الحجة البالغة ، ثم رحل إلى حمص ، فأقبل عليه أهلها إقبالاً عظيماً وأخذوا عنه وكان ذلك فى سنة ١٢٩٤ هـ ، ثم رجع إلى حجرته فى المدرسة حتى جاوز الثلاثين ، فقرأ درساً عاماً فى جامع السادات عن ظهر قلبه من صحيح البخارى ، وقد بهرت الناس فصاحته وتكلمه على الحديث الواحد من علوم شتى لم تعرف بديار الشام مثل الحكمة والطب والرياضيات وغيرها . وانتقل لكثرة الخلق عليه ـ لما ضاق بهم الجامع — إلى جامع سنان باشا ، فكان يقرأ ليلتى الجمعة والاثنين من بعد المغرب إلى العشاء ، ويجتمع عليه الألوف من الناس ، ويأتون من قبل المغرب فيصلون فى الجامع ، ويمكثون لشدة الزحام فى أماكنهم ، لامتلاء المسجد بسدّتيه العليا والسفلى حتى الرواق وصحن المسجد الخارجى . وكان يحضر درسه العام عزت أفندى متصرف دمشق التركى

إذ ذاك بعد أن يبدل ثيابه ويلبس جبة وعمة على هيئة أهل العلم ، وأحبه محبة عظيمة . وما إن جتمع فى الآستانة بالوزراء وأهل الحل والعقد حتى أخبرهم بالأستاذ وأنه مع حداثة سنه من أجل المحدثين ، متكلماً عن ظهر قلبه فى سائر الفنون مع فصاحة وطلاوة تأخذان بمجامع القلوب ، فأثمرت مساعيه تعيين عشرة ليرات معاشا شهرياً للأستاذ دون علمه . حتى إن الأستاذ كان على عادته يقرأ الدروس فى الأصول والتوحيد والمعانى والوضع والمنطق كحاشية الأزميرى على المرآة وحواشى التلويح والمطول والأطول والخيالى وحواشيه والعصام والكفوى على الوضعية والقطب على الشمسية وشرح حكمة الإشراق وغيرها ، وبينما هو يقرأ الدروس جاءه رسول الوالى ، فقدم له ظرفا كبيراً يحوى براءة سلطانية بالمعاش المذكور ـ فقال الأستاذ له : ليس هذا لى ، وامتنع عن أخذه . . . مع أنه كان فى أشد الحاجة ، ثم لم ير بداً من قبوله .

ثم تزوج المترجم بكريمة العارف بالله ذى الكرامات الظاهرة والمناقب الفاخرة العالم الكامل السيد الشريف محى الدين العانى الرفاعى ، ورزق منها أولاده ، وصار أخو المترجم الشيخ أحمد بهاء الدين يتناول المعاش ، ويتولى أمر البيت ، والأستاذ مشتغل بقراءة الدروس .

وفى سنة ١٢٩٨هـ أسند إليه التدريس فى الجامع الأموى ، فقرأه باحتفال حضره أعيان العلماء والرؤساء والوالى وجماعته ، وكان إذ ذاك (مدحت باشا) فابتدأ بالحديث الأول من صحيح البخارى ذاكرا سنده ومشايخه ، وأتى على مقدمة عظيمة فى علم الحديث شارحاً منقوله ومعقوله ، وما ترك علماً من العلوم

إلا ذكر شيئاً منها . واختتم بالدعاء بالصلاح والتوفيق لولاة الأمور . واستمر كذلك فى إلقاء هذا الدرس كل يوم جمعة بعد صلاتها إلى أذان العصر . مبيناً مايبنى على الحديث من الأحكام الشرعية على اختلاف مذاهب المجتهدين ، مرجحا الأقوى منها مأخذاً وأدلة . وقد تبلغ الأحاديث التى يذكرها مما يتعلق بحديث الباب مائة حديث . ويدلل على المسألة الواحدة بما يطبقه من علم الأصول وآداب البلاغة فى البحث والتفسير والتوحيد والأدوات كلها حتى الحكمة والفلسفة والطب والهيئة والهندسة ، مما يبهر السامعين ببديع تقريره ، ومن بينهم أحد الذين تخصصوا فى الطب والرياضيات مثلا ، فيشهد له حين يسمعه باليد العليا فى هذه الفنون !!

وعلى الرغم من حضور درسه الحكام والأمراء والقضاة جلوساً جانبه وحوله ، وأكثر الحاضرين وقوف ، فإنه يبلغهم جميعاً صوته بلا توقف ولا تلعثم منتقلا من البحث إلى الآخر بأدنى مناسبة ، ويذكر الأحاديث المخوفة مشددا الأمر على من بيدهم أمور الناس فيبكيهم ويذكرهم بالعودة إلى الرجاء والثواب للعادلين والذين لإماناتهم وعهدهم راعون - بين ترغيب وترهيب فى وصف العلاج ، شأن الحكماء ، مع إجابته متيسما متلفتاً عما يخطر ببال المتخصص بعلم من الأسئلة ، متكلما فيه مفيداً ومجيداً . ويختتم درسه بآيات مطبقاً إياها بما يحير الألباب . ومن عادته الجلوس فى مصلاه بعد صلاة الفجر مع الجماعة - فارثا أوراده إلى طلوع الشمس مؤديا صلاة الضحى ، وما قطعها مرة حتى فى الحج - فيقوم للوضوء مستقبلا القبلة داعياً ومصلياً بعد عودته إلى غرفته نوافل

كثيرة ، فإذا أذن للظهر صلاه مع الجماعة إلى صلاة العصر فارثا درساً أو أكثر إلى قبيل المغرب ، فيصليه جماعة أيضاً ـ ذاهباً إلى داره بعد الصلاة ، فيفطر ويجلس للدرس فى بيته ويحضره الكثير من الخاصة والعامة ، إلى أن يصلى العشاء جماعة ، ثم يذهب إلى مضجعه . علما بأنه لم يصل إماما فى حياته ، مع كونه لم يترك صلاة الجماعة أصلا ، وكان يزور أهل الصلاح والتقوى والفقراء متفقدا مدارس الأولاد الصغار طالبا الدعاء منهم ومن معلميهم ماسحا برءوس الأيتام ، وكذلك زيارته المسجونين ناصحا واعظا متلطفا معهم . ولم يدخل طول عمره دواوين الحكومة ، متورعاً كثيراً فى الفتاوى الفقهية ، وكثيراً ما يحيلها إلى بعض تلامذته . وقد وصفه أحد علماء الهند بقطب الزمان ومجدد الأوان ، كما كان شيخ الإسلام فى الآستانة يقول عنه إنه قطب العالم الإسلامى . ورحل إلى الحجاز مرتين ، فقرأ بمكة المكرمة بعض كتب الحديث ، كما زار مصر مجتمعاً بالشيخ الأشمونى رفيق والده فى الأزهر وذهب إلى القدس الشريف وغيرها .

وكانت زيارته للروضة النبوية الشريفة فى حجته الأخيرة سنة ١٣٣٣ هـ قبيل صلاة الجمعة ، فاغتسل ولبس أحسن ثيابه ، ثم توجه إلى الحرم النبوى ، فلما دخله اجتمع عليه الخلق ، ولكنه لم يكلم أحداً منهم حتى خرج ، ثم أخذ يستقبل أفواجاً بعد أفواج من العلماء والطلبة وغيرهم . ثم رحل إلى الآستانة مرتين ، وعين أستاذاً للعلوم الدينية ، وتولى مشيخة الإسلام فى حكومة الملك فيصل الأول .

وكان رحمه الله ، ربعة ، خفيف العارضين ، قليل شعر الوجه ، مرتفع الجبهة وعليها أثر السجود ، وآية المهابة والنجابة والذكاء المفرط تلمع من وجهه الأبيض وعينيه الحادتين جاذبية ، ويداه كالحرير لينا والفضة بياضا ، يلبس الثياب البسيطة التى لا تميزه عن غيره ، قليل الكلام إلا فى الدرس ، ورعاً ، مضرب الأمثال ، ماقبل هدية قط ، ولا رئى مفطراً فيما عدا الأيام المنهى عن صيامها ، مهتماً بأمور الخلق أكثر من اهتمامهم بأنفسهم ، حريصاً على نفعهم ومنفعتهم ، شافعاً لهم عند الحكام فلا ترد شفاعته . كما كتب إلى كثير من الملوك والأمراء والحكام فى أقطار الأرض ، حاثا لهم على العدل وإقامة الحق بين الخلق ، فلسان الخلق أقلام الحق ـ رحمة الله عليه وعلى أمثاله من أهل الصدق بين العالمين .

طاهر الجزائري

١٢٦٨ — ١٣٣٨

يرجع نسب الشيخ طاهر الجزائري إلى أسرة الأدارسة بالمغرب ، ويعتبر والده السيد محمد صالح بن أحمد بن موهوب الجزائري ، الإدريسي الحسيني ، آخر من قدم من أفراد أسرته إلى المشرق ، إذ قدم إلى دمشق سنة ١٢٦٣ هـ واشتهر فيها بتبحره في العلوم والمعارف ، والتزامه مكارم الأخلاق ، وبها توفي سنة ١٢٨٥ هـ ، تاركا عدة أولاد أشهرهم الشيخ طاهر المترجم له .

وقد ولد الشيخ طاهر بدمشق ، بعد قدوم والده إليها بخمس سنوات ، وعنى والده بتنشئته وتربيته ، فتلقى علوم العربية وآدابها على مشاهير علماء عصره ، وعنى بجمع الكتب والمخطوطات منذ حداثة سنه إلى آخر حياته . كما عكف على دراسة اللغتين الفارسية والتركية ، فأتقنهما بجانب إتقانه علوم العربية . وفي الوقت نفسه حذق اللغة الليبية ، وهي لغة قبائل الجزائر المغربية .

وكانت هوايته للكتب سبباً لتنقله في مختلف البلاد ، لجمع نفائسها ، فأكسبته رحلاته معارف جمة جديدة ، وتوثقت صلاته بكثير من العلماء والأدباء في البلاد التي زارها ، وصار مرجعاً يعتد به في فن وصف المخطوطات ومعرفة مظانها .

وإلى الشيخ طاهر الجزائرى يرجع الفضل فى السعى الحثيث فى إنشاء كثير من المؤسسات النافعة فى دمشق ، وفى مقدمتها الجمعية الخيرية التى ضم إليها مشاهير العلماء والوجهاء السوريين ، وتم تأسيسها سنة ١٨٩٤ م وأنشأت مدارس عديدة ، كما أنشأت مطبعة قامت بطبع كثير من الكتب المدرسية .

ومن مساعيه الحميدة تأسيس المدرسة الظاهرية بدمشق ، وإنشاء مكتبتها الكبيرة التى جمع فيها ما كان مبعثراً من الكتب والمخطوطات القيمة فى المساجد والمدارس وغيرها ، فحفظها بذلك من الضياع ، ويسر الانتفاع بها .

كما يرجع الفضل إلى الشيخ طاهر الجزائرى فى إنشاء المكتبة الخالدية بالقدس .

وإلى جانب هذا كله ، عكف — رحمه الله — على جمع نفائس المخطوطات ونوادر المطبوعات ، وواصل جهوده فى التأليف والترجمة ، وقام برحلات عدة إلى جزيرة العرب وغيرها من بلاد المشرق ، ثم أعقبها برحلات أخرى إلى الآستانة ومصر والبلاد الأوربية .

وفى سنة ١٣١٦ هـ — ١٨٩٨ م ، عين مفتشا لمكاتب الشام ، ولبث فى هذا المنصب أربع سنوات ، قدم خلالها خدمات جليلة لتنظيم هذه المكاتب والنهوض بها .

وحدث أن قام بعد ذلك برحلة إلى فلسطين ، وفى أثناء غيبته هناك قامت السلطات الحاكمة فى دمشق بتفتيش داره فيها ومصادرة كتبه وأوراقه

والتحفظ عليها فى مكتبه الخاص بمدرسة عبد الله العظم (باشا) فاستاء من هذه المعاملة، واستقر رأيه على المهاجرة إلى مصر، وتم له ذلك فى سنة ١٩٠٥. وحمل معه إليها أكثر محتويات مكتبته الثمينة، تاركاً بقيتها فى المكتبة الظاهرية بدمشق بعد أن وقفها عليها. وقد رحب به علماء مصر وأدباؤها، وبقى فيها محوطاً بالإجلال والتكريم، حتى أصيب بمرض طال علاجه فى سنة ١٩١٩، فعاد إلى دمشق حيث عين مديراً للمكتبة الظاهرية، ثم عضوا فى المجمع العلمى هناك، ولكن مرضه ما لبث أن اشتد، وأسلم روحه الطاهرة إلى بارئها بعد قليل.

وقد ترك الشيخ طاهر الجزائرى عدة مؤلفات مخطوطة منها: التفسير الكبير، والمعجم العربى، والسيرة النبوية، وجلاء الطبع فى معرفة مقاصد الشرع. وموسوعة باسم «التذكرة» فى عدة مجلدات، ضمنها ما اختاره من فرائد المخطوطات والكتب النادرة.

أما مؤلفاته المطبوعة فمن أهمها: كتاب «بديع التلخيص وتلخيص البديع». وقد طبع على الحجر سنة ١٨٧٨ م. وكتاب «منية الأذكياء فى قصص الأنبياء»، عربه عن التركية وطبع سنة ١٨٨١ م. وكتاب «الفوائد الجسام فى معرفة خواص الأجسام» وموضوعه الحكمة الطبيعية، وقد جمع بين قديمها وحديثها، وطبع سنة ١٨٨٣ م. وكتاب «عقود اللآلى فى الأسانيد العوالى» وطبع سنة ١٨٨٥ م. وكتاب «مدخل الطلاب إلى

فن الحساب » وطبع ثلاث مرات . وكتاب « تمهيد العروض إلى فن العروض » وطبع سنة ١٨٨٦ م .

وله مؤلفات كثيرة أخرى منها كتابان فى مصطلح الحديث هما : « مبتدا الخبر فى مبادئ علم الأثر » . و « توجيه النظر إلى أصول الأثر » . وكتاب فى التجويد اسمه « تدريب اللسان على تجويد البيان » . وكتاب باسم « البيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن » . وقد انتفع بهذه المؤلفات فى حياته وبعد مماته كثيرون من طلاب العلم والمعرفة فى سوريا ومصر وغيرهما من البلاد العربية .

سليم الآمدى البخارى

١٢٦٨ — ١٣٤٧ هـ

وقفت له على ترجمة بخط الشيخ سعيد البانى أحد مريديه قال : هو الشيخ سليم الآمدى أصلاً ، البخارى شهرة ، نسبة إلى بخارى بلدة أمه . ولد فى دمشق سنة ١٢٦٨ هـ ، ونشأ على حب العلم منذ نعومة أظفاره ، فكان نابغة فى العلوم التى حصلها فى الآداب العربية واللغة والفقه والأصول والحديث ، وألم ببعض العلوم ، واقتنى مكتبة نفيسة . وقد تخرج فى المدارس التحضيرية كأمثاله فى زمانه ، ثم تولى شئون تربيته العلمية الشيخ محمد البرهانى خال والدته ، وكان من فقهاء الحنفية بدمشق ، فلقنه العلوم الدينيه من فقه وغيره ، ووكل إلى العلامة الشيخ عمر الأصفهانى حفيد الشهاب العطار ، تعليمه العلوم العقلية من منطق وحكمة ، وعلوم العربية من صرف ونحو ووضع ومعان وبيان وبديع .

ثم لزم المترجم له بعد ذلك العلامتين الجليلين : أستاذنا الشيخ بكرى العطار ، ومنلا طه الكردى ، للتزود من علوم العربية والعلوم العقلية . وتلقى الحديث الشريف ، رواية ودراية ، من علامة دمشق ومحدثها الجليل الشيخ سليم العطار . كما أنه لزم علامة دمشق النحرير والشيخ محمد الجوخدار والشيخ محمد الجزائرى مفتى السادة المالكية بدمشق . وأجازه فقيه الديار الشامية السيد محمود أفندى الحمزاوى مفتى دمشق الأسبق ، بعد أن لزم مجالسه العلمية واقتبس منه كثيراً من الفوائد والقواعد .

وكان هو والسيد أبو الخير عابدين والمرحوم طاهر الجزائرى رفاقا فى الطلب منذ عهد الشباب ، وأخذوا عن طبقة واحدة ، ثم تخصص كل واحد منهم ببعض أنواع العلوم .

وحينما سافر إلى الديار الحجازية للحج وزيارة الروضة النبوية الشريفة ، مكث بمكة المكرمة ستة أشهر ، تلقى خلالها متن « الشمسية » فى المنطق و « الربع المجيب » من الشيخ رحمة الله الهندى ، صاحب كتاب « إظهار الحق » . ودرس « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى ، على السيد أحمد الدهان من علماء مكة . كما لزم دروس السيد زينى دحلان مفتى مكة المكرمة .

ولما رجع من الحجاز ، أسندت إليه وظيفة مفتى لواء المدفعية فى الفيلق الخامس ، بعد أن أحرز السبق فى الامتحان لها ، ولإجادته اللغة التركية تكلماً وكتابة ، مع إلمامه باللغة الفارسية . فنهج فى وظيفته منهج النزاهة والأمانة . واستمر إلى ذلك يقرىء طلاب العلوم ، ويتبحر فى علوم العربية وآدابها ، وفى التاريخ والطبقات والشريعة ، واطلع على كثير من نفائس الكتب التى كانت كنزاً دفيناً ، فحاول هو وصديقه المرحوم الشيخ طاهر الجزائرى كشفها وإحياءها . وكان بطبعه محبا للاطلاع على جميع المؤلفات الحديثة فى علوم الاجتماع والعمران والسياسة والحكمة النظرية والعلوم الكونية ، وعلى الصحف السيارة والمجلات العلمية التى تقتطف من ثمرات علوم الغرب .

لهذا كان من العلماء المجيدين ودعاة الإصلاح — وقد خدم المعارف خدمة تذكر فتشكر حينما كان عضوا فى الجمعية الخيرية المؤلفة فى عهد مدحت

باشا الوزير العثمانى قبل إحداث مديرية المعارف . وكان على جانب عظيم من الذكاء وسرعة الخاطر وقوة الحافظة ، سليم الصدر ، طاهر القلب لايضمر السوء والغش لأحد ، شديد الغيرة على الوطن والشعوب العربية ، مستمسكاً بدينه ومبادئه ، لكنه يمقتُ التعصب الذميم والتنطع بالدين . رحب الحيا رقيق الشمائل ، يحب النظافة والإتقان والترتيب والنظام ، فائق الهمة ، جامعاً بين تؤدة الشيوخ وهمة الشباب ، صداعاً بالحق لاتأخذه فى الله لومة لائم . وله مواقف عجيبة من هذا القبيل ، كان آخرها موقفه مع جمال باشا ، فقد كان الشيخ بوصفه من كبار الأحرار المصلحين لايرضى عن الحكم المطلق ، بل ينشد الإصلاح الذى من شأنه سعادة الوطن وعمرانه وحياة الأمة ورفاهيتها ورقى الدولة وصيانة كيانها ، فاتحد رأيه مع رأى أحرار الترك أعضاء جمعية « تركيا الفتاة » وانتظم فى سلك هيئاتهم السرية ، وظل زهاء ثلاثين سنة يجاهد فى هذا السبيل ، معرضاً نفسه إلى الخطر ، حتى أعلن القانون الأساسى . وحينما رأى تهور الاتحاديين انسحب من جمعيتهم ولزم الحياد ، وحينما تمادوا فى طغيانهم وبدت عليهم علائم سوء النية نحو العناصر غير التركية ، خصوصاً العرب ، اضطر إلى المجاهرة بمخالفتهم ، وانتظم فى سلك حزب الحرية والائتلاف . ثم كان فى طليعة المنادين بالإصلاح والمطالبة بحقوق العرب المهضومة ، فحنقت عليه الحكومة التركية وتربصت به الدوائر ، حتى أعلنت الحرب العامة سنة ١٩١٤ م ودخلتها الدولة ، وتولى جمال باشا قيادة الحملة المعروفة ، فقبض على الشيخ وزج به فى سجن الشرطة شهرين ، ثم سيق

إلى مجزر عاليه ، و نفى بعد ذلك إلى الأناضول ، وكان ولده المرحوم محمود جلال فى عداد الشهداء .

و فيما هو سجين فى نُزُل « دمسكس بلاس » استدعاهُ جمال باشا ، وأفهمه أنه يريد إعفاءه من النفى ، على شرط أن يكف لسانه عن الطعن على الحكومة ، فأجابه بقوله : « انفض ما أنت قاض » فأيقن جمال أنه لن يسكت عن مظالم الحكومة ، وعدل عن العفو عنه .

وظل الشيخ يشنع على فظائع الحكم غير مبال ولامتهيب ، وقد أعجب بعلمه وفضله وإخلاصه كل من صحبه من علماء الأتراك وسراتهم وأعيانهم .

وعقب الانقلاب العثمانى ، طلب أن يحال إلى التقاعد فأجيب طلبه ولزم بيته ، وعكف على مطالعة كتبه ومزاولة درسه وبحثه . ثم ألح عليه إسماعيل فاضل باشا ، أحد ولاة سوريا ، فى قبول عضوية لجنة الأوقاف ، فقبل بعد أخذ ورد طويلين .

ولما ذهب الحكم التركى ، عين عضواً فى مجلس الشورى . وانتخب عضواً فى المجمع العلمى العربى ، وعضواً فى مجلس المعارف الكبير ، إلى أن أسندت إلى عهدته رياسة العلماء فى دمشق .

وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ بدمشق ، رحمه الله .

محمد أبو الخير عابدين

١٢٦٩ — ١٣٤٣ هـ

وقفت له على ترجمة بخطه(١) ، قال فيها رحمه الله :

إن هذا الحقير أبو الخير محمد بن أحمد بن عبد الغنى بن عمر ، المعروف كأسلافه بابن عابدين ، المتصل نسبهم الشريف بالسيد الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما هو مذكور فى «شجر النسابة الحميدى» ، وفى تكملة رد المحتار . وأما مولده فدمشق الشام سنة تسع وستين ومائتين وألف من الهجرة . نشأ فى حجر والده ، ودخل المدرسة سنة ثمانين ومائتين وألف ، فأخذ النحو والصرف والفقه والكلام والحديث والأصول والمنطق والتصوف والفرائض والحساب والمصطلح والبيان والتفسير والآداب عن جملة من أفاضل العلماء ، منهم : والده ، وابن عمه السيد محمد علاء الدين صاحب التكملة ، والشيخ محمد الطنطاوى ، والشيخ بكرى العطار ، والشيخ محمد الملاطى ، والشيخ عبد الرحمن البوسنوى الشهير بمغربى زاده ، والشيخ سعيد الأسطوانى ، والسيد محمود الحمزاوى مفتى دمشق . ولازم أمانة الفتوى بدمشق ما ينيف على

---

(١) مولده فى سنة ١٢٦٩ هـ ووفاته فى ٦ مارس سنة ١٩٢٥ م — بناء على خطاب من المغفور له السيد محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ووزير معارف سوريا الأسبق — للمغفور له العلامة أحمد تيمور باشا مؤرخ ٧ — آذار رس سنة ١٩٢٥ .

خمس وثلاثين سنة ، ثم تولى نيابة قضاء درما ، ثم قضاء بعلبك ، ثم قضاء درعا ، وسافر إلى الآستانة مرتين بعد أن تولى إفتاء دمشق الشام ، وبعد أن دخلت الحكومة العربية دمشق الشام عزله الملك فيصل عن الإفتاء ، وعين عضوا فى محكمة التمييز للنقض والإبرام .

وأما سماعه الحديث وإجازاته به وبغيره فمن والده وابن عمه ، ومن السيد الحمزاوى ومن طاهر أفندى مفتى الشام الأسبق ، ومن الشيخ محمد البيطار أمين الفتوى ، ومن السيد محمد الكتانى حينما كان فى المدينة المنورة ، ومن كثير من المشايخ الأعلام ، كتابة من أكثرهم ، ومشافهة من الباقين .

وأما أخلاقه فحب العزلة وقلة التردد على أبواب الكبار ، ولايحب الدخول فيما لايعنيه ، ويرجح راحة البال ، ويفضل الإقامة فى أكثر الأوقات فى قرية من قرى الشام .

وأما آثاره فله عدة رسائل لم ينشر منها سوى رسالة فى « تكرار القصص الواردة فى القرآن الكريم » حررها جواباً عن سؤال من بعض أهل العلم ، والمرجو من الله سبحانه حسن الختام .

وهذه ترجمة أخرى للعلامة محمد أبى الخير عابدين :

هو العلامة مفتى الشام محمد أبو الخير بن أحمد بن عبد الغنى بن عمر ، وبقية نسبه فى ترجمة ابن عم أبيه السيد محمد علاء الدين عابدين . اشتغل بطلب العلم كأسلافه ، وجد وحصل وتولى الإفتاء بدمشق ثم تركه .

لقيته فى رحلتى لدمشق ، فرأيت فضلا وكمالا وتواضعاً وحسن سمت ، واطلعت له على إجازة كتبها سنة ١٣٣٩ هـ ، للعلامة المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوى يطلب منه إيصال سنده بالعلامة السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين عم والد المترجم ، فاستخلصت منها أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم ، فمنهم والده السيد أحمد عابدين ، وابن عمه السيد محمد علاء الدين ، والشيخ طاهر أفندى مفتى الشام ، والشيخ محمد البيطار أمين الفتوى بدمشق ، والسيد محمود الحمزاوى مفتى دمشق ، والسيد عبد الله الصوفى الطرابلسى ، والشيخ المفسر بكرى العطار ، والسيد حسين الغزى . وقرأ جملة من النحو والمنطق والحساب على عالم الشام الشيخ محمد الطنطاوى ، وقرأ المختصر مع حاشية الدسوقى على الشيخ الصوفى محمد الملاطى . وانتفع كثيراً فى النحو والصرف والحديث وغير ذلك بالأخذ عن الشيخ عبد الرحمن البوسنوى الشهير بمفربى زاده ، وسمع بعض البخارى والحديث المسلسل من الشيخ سليم العطار والشيخ مسلم الكزبرى . وقرأ على الشيخ سعيد الأسطوانى : «الأشباه والنظائر» مع مطالعة حواشى الحموى والكفوى والبيرى وأبى السعود ، وحاشية الشيخ صالح ابن صاحب التنوير . وسمع من الشيخ يوسف المغربى حديث الأولية ، وأجازه إجازة عامة .

وللمترجم عناية وولوع باقتناء نفائس الكتب ونوادرها من المخطوط والمطبوع ، وله خزانة جمعت كثيراً منها على ما بلغنى ، ولم أطلع على شىء منها بسبب قصر المدة التى قضيتها بدمشق .

حسن المدور البيروتي

١٢٧٩ — ١٣٤٢ هـ

وقفت له على ترجمة ملخصة من مقالة نشرت بإحدى جرائد سورية بقلم السيد طه المدور — ابن أخيه — قال :

ولد سنة ١٢٧٩ هـ ، ودرس على الشيخ محمد رمضان . وبعد أن بلغ الثانية والعشرين من عمره ، ذهب إلى دمشق ، فأخذ عن علمائها مثل الشيخ بدر الدين الحانى ، والشيخ الكزبرى . ومكث بها خمس سنوات ، ثم رجع إلى بيروت واشتغل بها ، ثم رحل إلى مصر ، واشتغل بالحضور فى الأزهر على شيوخه ، ومنهم الأستاذ الشيخ محمد عبده . ثم عاد إلى بيروت ، وشرع فى الإقراء ، فكان يقرأ كل يوم ١١ درساً بلا انقطاع . وبقى يدرس ويفيد ٤٧ سنة .

وقبل إعلان الدستور العثمانى بسنوات ، أسس المدرسة العلمية ، وجعل ناظراً لها . ثم تركها لأنها شغلته عن دروسه . وبعد إعلان الدستور — بقليل — جعل أميناً للفتوى ، وأستاذاً للدروس الدينية فى المكتب السلطانى ، وظل كذلك مع اشتغاله بالتدريس بالمساجد إلى وفاته . وكانت طريقته فى التدريس حسنة يفهمها العامى والمتعلم .

وكان متوسط القامة ، حنطي اللون، عسليّ العينين، يميل إلى الزهد وعدم التأنق في ملبسه ، حسن الأخلاق ، متواضعاً ، كثير المطالعة، يكره المزاح . وكان متضلعاً من المذاهب الأربعة ، وفريداً في المذهب الحنفي ، وفي المنطق ، وعلم الميراث ، وكثير من العلوم كالرياضيات والبلدان والتاريخ .

وأجازه كثيرون ، حتى لقد اجتمع عنده (٥٥) إجازة ، وكان نقشبندي الطريقة . وله من المؤلفات (٢٠) عشرون مؤلفاً . لم يطبع منها غير ثلاثة في الفقه والتوحيد . رحمه الله .